محاضرات في فقه اللغة

المرحلة الثالثة

المفردات

- **تعريف بمصطلح (فقه اللغة) وعلاقته بمصطلح (علم اللغة)**
- **مؤلفات فقه اللغة بين القدماء والمُحْدثين**
- **الأسر اللغوية أقسامها وفصائلها وموقع اللغة العربية منها/ مجموعة اللغات الجزرية (السامية)**
- **العربية أقسامها ولهجاتها**

العامية ومخاطرها

وسائل نمو اللغة: (الاشتقاق، النحت، التعريب)

الظواهر اللغوية: (الإعراب، الترادف، المشترك اللفظي، التضاد)

المباحث اللغوية: (الرسائل اللغوية، والمثلث اللغوي، والفروق اللغوية)

الخط العربي النشأة والتطور والخصائص

النظام الصوتي للغة العربية: (تعريف الصوت وإدراكه وأعضاء النطق/ موجز عن جهود العرب القدامى في علم الأصوات/ مخارج الأصوات/ صفات الأصوات).

أهم المصادر

فقه اللغة د. صبحي الصالح

فقه اللغة العربية/ د. ياسر كاصد الزيدي

فقه اللغة العربية/ د. حسام النعيمي

فصول في فقه اللغة/ د. رمضان عبد التواب

تعريف بمصطلح (فقه اللغة) وعلاقته بمصطلح (علم اللغة)

فقه اللغة وعلم اللغة

يعرف علم اللغة بأنه **دراسة اللغة بشكل علمي**، ويختص بدراسة اللهجات والأصوات في اللغة، بالإضافة إلى الدراسات المقارنة، وفقه اللغة هو **الغوص في محيط اللغة لغرض فهمها، وكشف أسرارها، فضلاً عن معرفة مراحل تطورها**، كما أنه يضم الدراسات التي تهتم بنشأة اللغة ودلالات ألفاظها وتطورها عبر التاريخ، وهذه التعريفات هي في الغالب الأعم.

تعريف فقه اللغة

يعرف فقه اللغة اصطلاحاً بأنه **العلم الذي يهتم بدراسة اللغة ذاتها وقضاياها**؛ أي إنه يدرس أصواتها، وتركيباتها، ومفرداتها، وخصائصها الصوتية والنحوية والصرفية، ودلالة الألفاظ، وما بينها من علاقة، وما قد يطرأ عليها من التغييرات، كما يهتم بدراسة اللهجات، ومنشئها واحتكاكها ببعضها، وتاريخها، وما تواجهه اللغة من مشكلات وقضايا تثار حولها، وهو العلم الذي يحاول كشف أسرار اللغة ومراحل تطورها.

تعريف علم اللغة

يعرف العلماء علم اللغة على أنه **العلم الذي يهتم بدراسة بنية اللغة**، وذلك من حيث أصوات بناء الكلمات والجمل ودلالتها، كما أن علم اللغة يعنى بدراسة الفصائل اللغوية، والغوص في الاشتقاقات، والترادف، والتضاد، بالإضافة إلى النحت.

الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة

يقول بعض العلماء: إنّ مصطلح فقه اللغة ومصطلح علم اللغة مصطلحات مترادفة، إذ إنهم يعطونهما تعاريف متداخلة ومتشابهة بعض الشيء، ورأيهم أكثر ميلاً للقول بأنّ الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة قد يكون في الغرض والهدف، ولا سيما أن بعضهم الآخر يرى أن كلا المصطلحين له دلالة خاصة به، ولكل منهما مفهومان مختلفان، وعلماء ومختصون ودارسون، ووضع هؤلاء العلماء بعض الفروقات **نوجزها بالآتي**:

-**هناك اختلاف في منهجية علم اللغة عن فقه اللغة**، ففقه اللغة مختص بدراسة اللغة بهدف دراسة الأدب والحضارة المتعلقين بهذه اللغة، وهنا لا بد من أن نفرق بين المصطلحين هما علم اللغة وفقه اللغة، حتى نتمكن من التفرقة بين دراسة اللغة لأنها وسيلة لغاية أخرى، أو

أن ندرس اللغة لأنها هي الغاية في حد ذاتها، حيث يقول الباحث دي سوسير، إن علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في حد ذاتها ومن أجل ذاتها.

-**تعد ميادين دراسة فقه اللغة أوسع وأشمل،** وغايتها في النهاية هي الوصول إلى دراسة الحضارة والأدب المتعلق باللغة، والبحث في الحياة العقلية بكل وجوهها ومن كل جوانبها، ولهذا فقد قام فقهاء اللغة بالاهتمام بشدة بتقسيم اللغات المختلفة ووضع مقارنات بينهم، بالإضافة إلى السعي لشرح الكثير من النصوص القديمة وصياغتها حتى نتعرف على ما تحتويه هذه اللغة من مضامين حضارية ولغوية من كل الجوانب، وهنا يتبين أن فقه اللغة هو عبارة عن مساحة شاسعة التمدد بين علم اللغة من جانب وكافة الدراسات الأدبية والإنسانية من جانب آخر.

أما علم اللغة فهو يُركز على اللغة نفسها وتركيباتها، وتحليلها ووصفها باعتبار أنها هي ميدانه الرئيس، وعندما يعالج علماء اللغة معاني اللغة فهم يتوسعون في ميدانهم فقط ولا يقتربون كثيراً من مجال فقه اللغة.

-**يُعدّ اصطلاح فقه اللغة من الناحية الزمانية أقدم من علم اللغة،** ولكن علم اللغة أتى لكي يُوضح التركيز اللغوي، وهنا يأتي واحد من أهم الفوارق الأساسية بين المصطلحين، حيث أن فقه اللغة مقارن، ولكن علم اللغة فهو علم تركيبي شكلي، أي إنه يركز على اللغة من ناحية التركيب والشكل فقط، ولا يعنيه أي مجال آخر من مجالات اللغة وما يدور حولها.

-وصف علم اللغة منذ اللحظة التي نشأ فيها على أنه علم وفق المفهوم الدقيق لعلم اللغة، فمعظم العلماء قد شددوا على هذا الجانب اللغوي، ولكن لم يتم وصف فقه اللغة إلى الآن على كونه علم على عكس علم اللغة.

-إذا نظرنا إلى عمل علماء اللغة نجد أنه عمل **وصفي تقريري**، وبخلاف ذلك فإن فقهاء اللغة عملهم هو عمل **تاريخي مقارن** في أغلبه.

مؤلفات فقه اللغة بين القدماء والمُحْدثين

يظهر أن فقه اللغة يهتم بالبحث النظري، فهو يعالج –أيضاً- كفرع لعلم اللغة، ظاهرة الترادف والاشتراك والمولد والدخيل، وغير ذلك، ثم يبحث بالتالي عن ظاهرة الوضع اللغوي بصفة عامة، ومن ثم يعتني بالبحث عن الكلمات وتكيفها وتنوعها اللهجي، وعن منشأ اللغة كلها وأسباب الوضع فيها.

في الوقت الحاضر نحن نحافظ على المفهوم العربي القديم؛ إذ تبين من كتب فقه اللغة القديمة أن الأغراض الرئيسة فيها هي:

1- استقراء معاني المفردات وتتبع إطلاقها في شتى السياقات وبيان مسمياتها وحصر استعمالاتها.

2- بيان الفوارق الدقيقة اللطيفة بين هذه الاستعمالات المختلفة (اللغوية المحضة والبلاغية).

3- بيان تنوعها اللهجي.

4- بيان الترتيبات الكثيرة وأهمها الترتيب المحوري الدلالي (بحسب التجانس المعنوي)، والترتيب الأبجدي في المعجمات (وفي فن المعاجم كفرع لعلم اللغة).

أما إحصاء المفردات، وضبط صيغها، ومعانيها الوضعية، وبيان درجة شيوعها، وإعزاؤها إلى قائليها من شتى القبائل، فهذا لا يدخل في فقه اللغة بهذا المعنى (القديم)، بل في علم اللغة الرياضي والجغرافي، وهما فرعان لهذا الفن.

ومن مؤلفات فقه اللغة القديمة والحديثة:

1. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس

ابن فارس هو أول من استخدم مصطلح فقه اللغة ويوضح منهجه وبغيته من هذا الكتاب بمقدمة صدَّر بها كتابه فيقول: "إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: رجل، فرس، طويل، قصير، وهذا الذي يبدأ به عند المتعلم. وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوّليتها ومنشأها ثم على رسوم العرب في مخاطبتها وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً".

ويقول: "والذي جمعناه في مؤلفنا هذا... في أصناف العلماء، وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق".

الأمر الأول الذي قدم له ابن فارس واتبعه في كتابه هو النظرة الكلية الشاملة لموضوع اللغة واعتباره أصلا يجب أن يدرك ويُفهم؛ لأن هذا هو ما يعوّل عليه في فَهم كتاب الله وكلام رسوله، وهنا تظهر النزعة الدينية التي اتسمت به منهجيتُه وتناوله اللُّغوي، إذ لا ينفك من فكرة دراسته هذه اللغة من كونها لغة دين وخدمتها إنما هي خدمة للقرآن وأهله.

وفي حقيقة الأمر أن النظرة الكلية التي دعا إليها ابن فارس توافق أحدث النظريات العلمية في مجال التعليم وهو الانطلاق من الإدراك الكلي للأشياء ثم معرفة الأجزاء والتفاصيل.

وهو ما اتبعه ابن فارس في كتابه هذا، إذ رأى أن الأصل الذي يجب أن يُعرَف هو إدراك منطق هذه اللغة وأوليتها ونشأتها وفنون الأداء اللغوي فيها معرفة عامة ملمة وهذه هي الرتبة العليا.

فيبدأ الحديث بالقول على لغة العرب أهي توقيف أم اصطلاح، ثم يتحدث عن أفضل اللغات وأوسعها وعن الكلام المعرَّب والدخيل في القرآن، ومشكلات الخط العربي، فيتناول الخطأ في الحديث اليومي وأن هذا مما يجب ألا يُؤْخَذَ به، محاولاً أن يقدم في كتابه ثقافة لغوية متكاملة، إذ يتعرض إلى جوانب لغوية ونحوية وصرفية ودلالية وبلاغية.

وكما **يعرض** للنظم في القرآن وأساليبه الأدائية كالتقديم والتأخير والاعتراض والإيماء والحمل والاتباع وما إلى ذلك، محاولاً أن يمد القارئ بمفاتيح لغوية عامة تمكنه من فهم هذه اللغة ومنطقها وفلسفتها حتى يتسنى له القبض عليها.

2. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني

يُعدّ هذا الكتاب بحق موسوعة لغوية متكاملة. فقد تناول ابن جنّي مسائل لغوية متعددة استفاض في شرحها وإيضاحها واستهل كتابه ببيان ماهية اللغة والنحو والإعراب والبناء، واتبع ذلك بتوضيح لأصل اللغة، اصطلاح هي أم إلهام، ومن ثم تناول بالبحث الموضوعات اللغوية التخصصية التي عالجها ابن جني في كتابه.

وإن أهم ما يميز كتاب ابن جني هذا هو جهوده في الكشف عن الدلالة الفنية للأصوات ويقوم هذا البحث بدراسة الدلالة الصوتية للكلمة من حيث النظر في صفات الأصوات، من حيث: الجهر والهمس، والرخاوة والشدة، والانطباق والانفتاح... ومن حيث ما يصاحب الكلمة عند النطق بها من ظواهر صوتية كالنبر والتنغيم، ثم من حيث النظر في مخارجها المختلفة، وبحث العلاقة بين تلك السمات الصوتية للتشكيل الصوتي للكلمة ومناسباتها لسياقها ونسقها الدلالي.

3. فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي

كتاب في فقه اللغة الذي يهتم بظواهر وتعريفاتها وتعليلاتها وأسبابها، وهو عبارة عن جزأين، الجزء الأول فقه اللغة ويبدأ بمقدمة عن فضل العربية وسبب تأليف الكتاب، ثم يبدأ الكتاب تحت كل موضوع الكلمات التي تعبر عنها وكل كلمة معناها الدقيق، ثم الجزء الثاني وهو أصغر من الجزء الأول واسمه سر العربية، يتكلم عن بعض أساليب اللغة بإيجاز يورد التعريف ثم شاهد عليه، ولذلك فإن الكتاب معجم موضوعي مفيد جداً يثري لغة المطلع.

إن مفتاح تحديد هذا المصطلح، هو الحذر اللغوي (فقه) الذي يدل بعامة على العلم بالشيء، وهو مشتق من الشق والفتح، فيكون "فقه اللغة" من هذا المنطق، علم اللغة والغوص إلى دقائقها وغوامضها، وهو ما أكده عنوان الكتاب بقسميه (الأول والثاني): فقه اللغة وسر العربية. هذا الكتاب واحد من كتب قليلة جداً شُغلت بلغة العرب وأساليبهم، ومأثورهم البياني، وخصوصيات البناء والصوغ والاشتقاق، وسائر معهودهم في استخدام اللغة، أداة راقية منظورة لحمل أرقى الرسالات الإنسانية في الدين والدنيا.

4. تاريخ اللغات السامية، إ . ولفنسون (أبو ذؤيب)

إن لمعرفة لغات وتاريخ الأمم السامية القديمة أهمية كبيرة، إذ إنها تساعد في الكشف على ما تركت هذه الأمم من عجائب الآثار وما كان لها من فضل في تكوين حضارة العام القديمة التي ما تزال تؤثر بتقاليدها وروحها في حضارة العالم الحديث، وتنقسم المراجع التي تبحث في اللغات السامية على قسمين **أولهما** في تاريخ اللغات السامية، وقد ألفت فيه كتب وضعها المستشرقون "نولدكة، وبروكلمان، وبرجشترسر". وهناك مقدمة وضعت في صدر كتب النحو والصرف لجملة من اللغات السامية تشتمل على نظريات شتى تساعد الباحث في تاريخ اللغات السامية كثيراً، وتمكنه من الوصول إلى نتائج ذات أهمية عظيمة. أما القسم **الثاني** فيشتمل على مؤلفات وضعت في الآثار التي كشفت في مواطن الأمم السامية القديمة، وهذا المؤلف "تاريخ اللغات السامية" لمؤلفه أولفنسون يجمع بين تاريخ اللغات السامية وبين جملة نماذج من آثارها.

وكان المؤلف كلما انتهى من البحث والتنقيب في لغة من اللغات السامية، اقتبس أمثله متنوعة من آثارها، لأن الآثار هي المرآة التي تتراءى فيها الصور الصحيحة للغات الأمم وعقلياتها. وقد عني ولفنسون بالبحث في نشأة اللغة العربية ووصل فيه إلى نتائج هي ثمرة جهوده الشخصية، إذ كانت بحوث المستشرقين في نشأة اللغة العربية ناقصة وموجزة بل وغامضة في حين كانت بحوثهم في أغلب اللغات السامية وافية لا سيما في العبرية فلهم أبحاث جليلة لذلك اهتم المؤلف جد الاهتمام بالبحث في اللغة العربية واضعاً لها ثلاثة أبواب مفصلة ألمّ فيها بكل أطوار حياتها منذ الجاهلية إلى الآن.

6. المعجم المفصل في فقه اللغة، مشتاق عباس معن

يمثل هذا المعجم محاولة لسد ثغرة كبيرة في المكتبة العربية اللسانية العربية وبخاصة حقل المعجميات وبنحو خاص منه خانة (فقه اللغة) ذلك الدرس المهم والحسّاس في الوقت نفسه، إذ لا تكاد تجد دارساً يحدد بالضبط معالم نشأته وولادته وأثيل طرحه في الدرس اللساني العربي، أهو من أصل عربي أم من أصل غربي؟ كما لا تجد من يضع نقاط المفهوم على حروفه، فأغلب الدارسين أخطأوا الهدف في تحديد معالم مفهوم (فقه اللغة) وترسيم حدوده الفاصلة المميزة له من (علم اللغة) وصلة هذين الدرسين بـ(الفيلولوجيا).

لذا فقد عمد مؤلف هذا المعجم إلى تصدير بمقدمة مهمة درس فيها موضوعين حساسين هما:

1-ولادة (فقه اللغة) وجهود الدارسين في ترسيخ دعائمه.

2-فقه اللغة: المصطلح والمفهوم، وهدف المؤلف من هذا التصدير إغناء ذهن القارئ وثقافته من عموم مفهوم هذا الدرس ولادةً وأصلاً واصطلاحاً ومفهوماً وتطوراً في مرحلة زمنية-دراسية إلى مرحلة زمنية-دراسية أخرى.

بعد هذا التمهيد طرح المؤلف موضوعات كان قد درسها الدارسون ضمن (فقه اللغة) وثبت موضوعات كانوا قد أهملوها، مدخلاً (المعجميات) ضمن هذا المعجم؛ لأنه يمثل استقراءً للألفاظ ودرساً لمعانيها وقراءةً لاختلاف لغات العرب وموازنتها بأخواتها (العربيات) من لغات الناطقين الأوائل، فهي –بذلك- موضوع تاريخي مقارن من موضوعات (فقه اللغة) من دون جدال. أما بقية الانتقاء فيجده القارئ مثبتاً على صفحات المعجم هذا، الذي أخذ بنظر الاهتمام صلة المصطلح بتاريخية اللغة، وجس التطور فيها، أو تحديد نوعية النطق لفظاً ودلالة وتطوراً ناهيك عن أسلوب الموازنة الذي يتم بين نوعين ينتميان إلى جنس واحد، أو بين جنسين ينتميان إلى أصلين مختلفين.

إلى جانب ذلك سعى المؤلف إلى ذكر الروّاد والشخصيات التي أسهمت في توضيح فقه اللغة وتطويره وتقريب مفهومه من الباحثين عرباً وغير عرب. وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف قام باستقاء مجمل محتويات هذا المعجم مما سبق تأليفه من كتب ودراسات ومعجمات كتبت في صميم هذا الدرس أو حامت حوله، مدوّناً أسماء تلك المصادر والمراجع في نهاية المعجم روماً لإفادة المطّلع إن أراد التوسع، ولإلحاق المعجم المصطلحي بمعجم مرجعي يخدم الموضوع الرئيس.

7. مدخل إلى فقه اللغة العربية، أحمد محمد قدور

يمثل الكتاب مدخلاً إلى فقه اللغة العربية، والقصد الرئيس منه هو دراسة خصائص العربية الفصحى دون غيرها من اللغات الأجنبية أو اللهجات العربية القديمة أو الحديثة، ولذلك حرص المؤلف على عدم الوقوع في أي خلط بين الدرس الفقهي العربي، والدرس اللساني المفترض، ولا سيما على صعيد المقولات المعرفية والغايات الشمولية، أما **فصول** الكتاب فتبدأ بفصل فقه اللغة، المصطلح والأسس المصرفية، ثم يأتي الفصل الثاني الذي عُني بدرس أصول العربية ضمن المجموعة العروبية التي تدعى بالسامية، ويتابع الفصل الثالث هذا الدرس، لكنه يخص الفصحى باهتمامه نشأة وتاريخا، ويُعنى الفصلان الرابع والخامس بدراسة أهم الجوانب الصوتية والصرفية في جانب، والجوانب المعجمية والدلالية في جانب آخر.

هذا الكتاب محاولة علمية ضمن مشروع تأصيلي للعلوم اللغوية القديمة والحديثة، تتجلّى بعض ملامحه في الاهتمام بالمصطلح والتحديد المعرفي (الإبستمولوجي)، والاعتناء

بالرصد التاريخي للظواهر والمسائل لبيان الفروق وتحديد الزيادات، والاعتماد على معطيات الزمان والمكان وما بينهما من عوامل، والسعي إلى إعادة النظر في المعطيات القديمة، والتطلّع إلى الزيادة والرفد ونبذ الإلغاء والبتر.

8. العربية تاريخ وتطور، إبراهيم السامرائي

محطات في رحاب اللغة العربية يقف عندها الدكتور إبراهيم السامرائي بعد صحبته لأعوام طوال للمعجم العربي القديم مصاحبة الصديق، وقد تسنى له بعد هذه الصحبة الطويلة الوقوف على حقيقة مهمة، هي أن من خصائص العربية ما يشير إلى سعتها وشجاعتها، فكان له أن جمع طائفة من وقفاته فيه، في هذا الكتاب يجيل خلالها النظر في الماضي والحاضر ليقدم شيئاً مهماً للدارسين لفائدة هذه اللغة العامرة، جاءت تلك المحطات ضمن بابين وفصول، الباب الأول شمل فصولاً ستة، كان الفصل الأول والثاني بمنزلة مسيرة في رحاب العربية في ظلال المعجم القديم قدم الباحث فيها عرضاً لغوياً تاريخياً لألفاظ كثيرة رتبت على حروف المعجم، فيهما من الفوائد اللغوية النقدية التي ينبغي أن تتوفر في المعجم التاريخي. وقدم في الفصل الثالث عرضاً لمواد البداوة الأولى ثم تحولها إلى مواد حضارية خدمت العلم المتخصص. ودار الفصل الرابع حول أبنية عربية مشتقة صرفت في العربية إلى فوائد دلالية. وقدم المؤلف في الفصل الخامس تحقيقاً لغوياً في الصيغ والاستعمالات بما اشتمل على فوائد لغوية تاريخية إلى جوانب أخرى جّدت في العربية وشاعت. وخصص الفصل السادس لموضوع سطوة الشاعر ولغة الشعر.

أما الباب الثاني فقد حوى فصولاً خمسة والأول منها جاء لمقدمة في دراسة اللهجات، وعرض في الفصل الثاني لمعجم العامي الفصيح مادته ألفاظ عامية متداولة في عصرنا، وقد كانت ألفاظاً فصيحة، مرتبة على حروف المعجم، وتحدث في الفصل الثالث عن العامية في العراق، ونبه في الرابع على قصور لغة الشعر العربي المعاصر، وعدم استطاعة أصحاب هذا الشعر أن يدركوا في شعرهم ما يشيرون إليه من الأعراب عن الفن الحديث المعاصر الذي يكتسب قوته من الفكر الحديث. ثم تحدث في الفصل الخامس عن الجديد في اللغة، وعن المعجم العربي الحديث، وختم كتابه بخاتمة أشار فيها إلى قدرة العربية على استيعاب الجديد معتمدة على طاقتها في استيعابها للمواد القديمة، بدوية وحضرية.

الأسر اللغوية أقسامها وفصائلها وموقع اللغة العربية منها

كان لاكتشاف اللغة السنسكريتية الهندية القديمة في أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير في تطور الدراسات اللغوية في أوروبا ذلك أن البحث اللغوي الهندي كان يتميز بالدقة والاهتمام بالدراسات الوصفية، ويبتعد عن الجدل والفلسفة، وقد تبين للغويين وجود أوجه شبه كبيرة بين السنسكريتية واللغات الأوروبية، فدفعهم هذا إلى الاهتمام بالدراسة الوصفية والتاريخية والمقارنة للغات.

كان علماء تلك الحقبة في أوروبا مهتمين بالبحث التاريخي، ويحاولون وضع دراسة تاريخية تطورية لكل علم متأثرين بنظرية دارون التطورية، كما كانوا يسعون إلى وضع قوانين لعلومهم، فسار علماء اللغة على هذا النهج؛ لأجل تحديد أوجه الشبه والاتفاق بين اللغات، والبحث عن الأصول المشتركة لهذه اللغات؛ رغبة في الوصول إلى ما يسمى باللغة الأولى أو الأم، ودراسة تطور اللغات، وكتابة تاريخها اللغوي، ووضع قوانين عامة للغات.

ودفع تحديد ملامح المجموعات اللغوية في أوروبا ومعرفة العلاقات بينها - إلى البحث في لغات العالم الأخرى، حتى توصل العلماء إلى بعض التقسيمات للغات، وهو ما يسمى بالفصائل أو الأسر اللغوية.

والغرض الذي يُسعى إليه من دراسة الفصائل اللغوية هو معرفة التقسيمات العامة للغات العالم، والمجموعة التي تنتمي إليها لغتنا، وخصائص المجموعة، وتاريخها، ثم نعرج على لغتنا؛ فندرسها بالتفصيل.

وتوصل العلماء إلى عدة نظريات في تقسيم اللغات في العالم، وأشهر تلك النظريات نظريتان:

النظرية الأولى: وهي التي تعتمد على الدراسة الوصفية والتشكيلية للغات، ولا تنظر إلى ما بينها من قرابات وصلات تاريخية.

وصاحب هذه النظرية هو العالم الألماني (**شليجل**) الذي قسم اللغات على ثلاثة أقسام:

1- **اللغات المتصرفة أو التحليلية:** وتمتاز هذه اللغات من الناحية التصريفية بتغير المعاني مع تصرف الكلمات، وأن الألفاظ فيها يشتق بعضها من بعض، ومن الناحية النحوية وتراكيب الجمل تَسْتَخدِم روابطَ وأدواتٍ تدل على شتى العلاقات.

ومن هذا النوع اللغات الأوروبية واللغات السامية، ومنها العربية التي بلغت من ذلك مبلغاً فاقت به سائر اللغات؛ ففي العربية - على سبيل المثال - تقول من مادة (شُرْب): شَرِبَ، يشرب، شارب، شَرَاب، شُرْب، شروب، شَريب، تَشراب. . . وكل منها يدل على معنى.

وتقول: ركب محمد وعلي القطار من الرياض إلى الظهران فتدل الضمة في (محمد) على الفاعلية، والفتحة في (القطار) على المفعولية، والواو على الرابط بين (علي) و(محمد) و (من) على الابتداء و(إلى) على الانتهاء... وهكذا.

2- **اللغات الوصلية أو اللاصقة:** وهذه اللغات تتغير فيها المعاني عن طريق إضافة لواصق أو سوابق إلى الكلمات، لتحمل معاني جديدة.

ومن أشهر لغات هذه الفصيلة: اليابانية، وبعض اللغات البدائية.

3- **اللغات العازلة:** وهي لغات لا تتصرف الكلمات فيها ولا تلحقها الإضافات، بل تحمل كل كلمة بصورتها معنى لا يتغير.

ولا تعرف هذه اللغاتُ الأدواتِ النحويةَ، ولعل هذا هو السبب في تسميتها بـ: العازلة؛ لأن لكل كلمة دلالة خاصة، لا تقبل التغير.

ومن هذه اللغات الصينية وكثير من لغات الأمم البدائية.

وزعم القائلون بهذه النظرية أنها تدل على تطور اللغات؛ فاللغة في نظرهم تبدأ من مرحلة (العزل)، ثم ترتقي إلى المرحلة التي تستخدم فيها السوابق واللواحق، ثم إلى أرقى مراحلها، وهي أن تكون تصريفية كما يرى القائلون بها أن بعض اللغات قد تتوقف عند مرحلة معينة فلا تتجاوزها، وقد استدلوا على نظريتهم هذه بلغات الأطفال ولغات الأمم البدائية.

ولم تلقَ هذه النظرية قبولاً عند العلماء ووجهوا إليها اعتراضات أهمها:

إن كثيراً من اللغات تعرف أكثر من قسم من الأقسام الثلاثة؛ فالعربية التي هي لغة تصريفية تعتمد اعتماداً كبيراً على الوصل، والإلصاق كحروف المضارعة، وعلامات التثنية والجمع، وغيرها.

وكذلك نجد فيها بعض الصيغ العازلة كالمثال الذي يسوقه النحويون: ضرب موسى عيسى، من وجوب تقديم الفاعل، لعدم وجود قرينة تدل عليه، ولو قدمت (عيسى) على (موسى) أو على (ضرب) لتغير المعنى.

النظرية الثانية: وهي التي تعتمد على الصلات وروابط القربى، والعلاقات التاريخية والجغرافية بين الشعوب، فتحاول أن تجعل من كل مجموعة متقاربة من اللغات فصيلة مستقلة.

وهذه النظرية أكثر النظريات قبولاً، ورواجاً بين العلماء.

وأشهر تقسيم للغات سار في هذا الاتجاه هو ما قال به العالم الألماني (ماكس مولر) ت1900م، إذ لاحظ أن أكثر لغات العالم تجمع بينها علاقات تاريخية، وأوجه شبه مما يمكن أن تكون متفرعة عن أصل واحد.

ومن منطلق وحدة النشأة للغات وجد (مولر) أمامه مجموعتين لغويتين متميزتين، أما اللغات التي لم تندرج تحت هاتين المجموعتين فقد صنفهما تحت مجموعة ثالثة.

وعلى هذا ففصائل اللغات في العالم ثلاث:

1- **فصيلة اللغات الهندية - الأوربية:** وهي أكثر اللغات انتشاراً في العالم؛ إذ يتكلم بها أكثر سكان أوربا وأمريكا واستراليا، وقسم كبير من سكان آسيا.

ويندرج تحت هذه المجموعة عدد من اللغات البائدة كالسنسكريتية، والفارسية القديمة، والبهلوية، واللغات الجرمانية، واليونانية، والإغريقية القديمة، كما يدخل ضمن هذه المجموعة من اللغات المستعملة الحية اللغات الهندية، والفارسية، والكردية، والأفغانية، والأرمنية، والألبانية، واللغات الأوروبية، والسلافية والاسكندنافية وغيرها.

وقد اختلف العلماء في تحديد موطن هذه اللغات، فقيل: نشأت في وسط آسيا في منطقة التركستان، أو في أوروبا الشرقية، أو في بحر البلطيق، كما حاولوا تصور كيفية انتقال هذه اللغات وانتشارها في تلك البقاع الواسعة في العالم.

وقد بحث العلماء كثيراً في هذه اللغات؛ لأن أكثر علماء اللغة في العصور المتأخرة ينتمون إليها.

وتمتاز هذه الفصيلة بكثرة شعبها، واتساع الرقعة المنتشرة فيها، وقد سلك المتحدثون بها إن كانت يوماً ما لغةً واحدة مسالك متباعدة حتى لا يكاد يوجد بين فروع هذه الفصيلة إلا أوجه شبه محدودة يدركها المتخصصون.

2- **فصيلة اللغات السامية - الحامية**: وتشمل هذه الفصيلة مجموعتين لا يربط بينهما إلا روابط جغرافية؛ ذلك أن الاختلاف بين المجموعتين كبير.

أما الأولى - السامية – فهي تنسب إلى سام بن نوح (عليه السلام). وتضم هذه الأسرة اللغوية لغات الشعوب التي تسكن الآن وسكنت قديماً، شبه الجزيرة العربية، واليمن، والحبشة، وبلاد الشام، والعراق. وقد قسم العلماء هذه اللغات على **قسمين رئيسين** هما:

1. القسم الغربي: وينقسم بدوره على **قسمين آخرين**؛ هما:

القسم الجنوبى الغربى، الذي يضم اللغة **العربية**، والمعينية، والسبئية، والحميرية، والحبشية؛ التي تضم اللغة الجعزية، والأمهرية.

أما القسم الشمالي الغربي فيضم اللغة الكنعانية والآرامية ولكل منها أقسام. فاللغة الكنعانية تنقسم على **قسمين**؛ شمالي، ويضم اللغة الأوجاريتية، وجنوبي، ويضم اللغة العبرية، والفينيقية واللغة الآرامية تضم اللغة المنداعية، والسريانية. وقد كانت اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) من اللغات السامية، لكنها انفصلت في زمن مبكر جداً، وسارت منذ آلاف السنين في طريقها الخاص. ويرى أحد الباحثين أن القدماء المصريين كانوا يستعملون اللغة الأكادية في علاقاتهم الخارجية مع دول المنطقة الممتدة بين الفرات والبحر المتوسط.

2. القسم الشرقي هي الأكدية أو البابلية- الآشورية في أرض الرافدين قديمًا، إذ أخذ الساميون يتدفقون إلى العراق في هجرات متوالية منذ عصور سحيقة في القدم. وأقدم هجرة سامية إلى هذه المناطق حدثت في نحو القرن السادس والثلاثين ق.م.

وأمــا الثانية - الحامية - فتنتسب إلى حام بن نوح (عليه السلام)، وهي تحوي اللغاتِ المصريةَ القديمةَ، والقبطيةَ، واللغاتِ البربريةَ التي ما يزال لها بعض الاستعمال في مناطق من شمال إفريقيا، واللغات الكنوشيتية - الحبشية القديمة - والنوبية.

وأكثر هذه اللغات طغت عليها اللغات السامية.

3- **فصيلة اللغات الطورانية:** وتسميتها بالفصيلة من قبيل المجاز، وإلا فإن هذه الفصيلة تضم لغات لا تربط بينها علاقات، ولكن (مولر) جمعها تحت هذا الاسم؛ تخلصاً من كثرة التقسيمات.

ومن هذه الفصيلةِ اللغاتُ الصينية، واليابانية، والتركية، والمغولية وغيرها.

ولم يُرضِ هذا التقسيم العلماء المحدثين، فجعلوا اللغات السامية الحامية فصيلتين مستقلتين، وجعلوا الفصيلة الطورانية تسعة عشر قسماً؛ لتصل الفصائل إلى اثنتين وعشرين.

اللغة العربية أقسامها ولهجاتها

اللغة العربية من اللغات السامية، وهي أقدمها نشأةً وتاريخاً، وهنالك العديد من الآراء في أصل العربية لدى قدامى اللغويين العرب، فيذهب بعضهم إلى أن يعرب (*وهو اسم جد عربي قديم، ويقال: إنه ابن قحطان، وانقسم القول في نسب قحطان إلى أقوال عدة، منهم من قال: إنه من ولد إسماعيل، ومنهم من قال: إنه من ولد هود أو عابر كما يُعتقد*) كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي، فسميت اللغة باسمه، وقيل: إن نبي الله إسماعيل ابن إبراهيم أول من فتق لسانه بالعربية، وقال بعضهم الآخر: إن العربية كانت لغة آدم في الجنة، إلا أنه لا وجود لبراهين علمية أو أحاديث نبوية ثابتة ترجح أياً من تلك الآراء.

وقد عرف القدماء اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.. فاللغة هي الإنسان، وهي الوطن والأهل، واللغة التي هي نتيجة التفكير.. وهي ما يميز الإنسان من الحيوان، وهي ثمرة العقل.

ولغات العرب على تعددها واختلافها إنما ترجع إلى لغتين أصليتين:

- **لغة الشمال**
- **لغة الجنوب**

وبين اللغتين بون بعيد في **الإعراب والضمائر وأحوال الاشتقاق والتصريف**، حتى قال أبو عمرو بن العلاء: **"ما لسان حِمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا"**.

على أن اللغتين وان اختلفتا لم تكن إحداهما بمعزل عن الأخرى.

فالقحطانيون نزحوا عن ديارهم بعد سيل العرم، وقد حدث عام ٤٤٧م، وتفرقوا في شمال الجزيرة واستطاعوا -بما لهم من قوة وبما كانوا عليه من رقي- أن يخضعوا العدنانيين لسلطانهم في العراق والشام، فكان بين الشعبين اتصال سياسي وتجاري يقرب بين اللغتين في الألفاظ، ويجانس بين اللهجتين في المنطق من دون أن تتغلب إحداهما على الأخرى. وتطاول الأمد على هذه الحال حتى القرن السادس للميلاد فأخذت دولة الحميريين تزول بتغلب الأحباش على اليمن وتسلط الفرس عليهم، وكان العدنانيون على نقيض هؤلاء تتهيأ لهم أسباب النهضة والألفة والوحدة والاستقلال، بفضل الأسواق والحج ومنافستهم للحميريين والفرس، واختلاطهم بالروم والحبشة من طريق الحرب والتجارة، ففرضوا لغتهم وأدبهم على حمير، ثم جاء الإسلام فساعد العوامل المتقدمة على محو اللهجات الجنوبية وذهاب القومية اليمنية فاندثرت لغة حمير وآدابهم وأخبارهم حتى اليوم.

وتنقسم اللغة العربية إلى قسمين: **لهجات بائدة**، وأهمها ثلاث: **الثمودية**، **والصفوية**، **واللحيانية**.

وأما **الباقية** فمن أشهرها **قريش وطيء وهذيل وثقيف وغيرها**. **وأفصح اللهجات على الإطلاق لهجة قريش**.

وتبوأت لغة قريش هذه المكانة لسببين:

1- بعدها عن بلاد العجم، فلم يخالطوا الأعاجم من الفرس والروم والحبشة مخالطة تؤثر في لغتهم.

2- أن العرب كانوا يفدون إلى مكة في الموسم ويقيمون فيها قريباً من خمسين يوماً، فيتخير القرشيون من لغات العرب ما استحسنوه ويهملون ما استهجنوه، فصاروا بذلك أفصح العرب.

فلا عجب أن ينزل القرآن بلسان قريش ويجمع الناس على لغتهم، فصار نزوله بأفصح لسان وأحكم بيان، فقضى على مواطن الخلاف ومحا جوانب الاختلاف، فجمع الشمل، ووحد الكلمة، وهذب العبارة، وارتقى بالأسلوب، فحفظ اللغة ووحدها بعد أن بدت سمات الاختلاف.

ونرى أثر القرآن في فصحاء العرب من قريش عظيماً، إذ أسر بيانه القلوب، فعندما جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اقرأ عليَّ، فقرأ عليه (صلى الله عليه واله وسلم) قوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى" (النحل: 90)، فقال: أعد، فأعاد. فقال: "**والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه. وإنه ليحطم ما تحته، وما يقول هذا بشر**". ولكنه استكبر بعد ذلك، وقال :" إن النبي صلى الله عليه وسلم ساحر"، فنزل قوله تعالى: "**ذرني ومن خلقت وحيداً**" إلى قوله: "**سأصليه سقر**" (المدثر: 11-26).

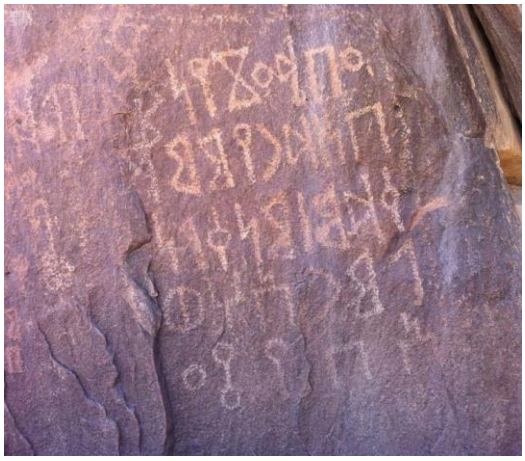

نموذجان من النصوص العربية القديمة

العامية ومخاطرها

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولغة العقيدة الصحيحة، وهي لغة فكر وأخلاق للأمة الإسلامية، وهي أقدر اللغات على الأداء وأقواها، وقد اختارها الله سبحانه لهذا الدين لما فيها من طابع في التعبير والبيان والمرونة والاتساع، قال فيها عز وجل:(إنَّا أنزلناهُ قرآناً عربياً لقومٍ يعقلون) بحيث استطاعت أن تحمل الرسالة السماوية، وأن تؤديها للناس في أرجاء المعمورة.

واللغة العربية هي إحدى اللغات العالمية الخمس، وهيَ لغة الضاد التي قال فيها المتنبِّي في معرض الفخر بأجداده:

وبهم فخر كل من نطق الضــا دَ وعوذ الجاني وغوث الطريد

ورغم كل مميزات اللغة العربية الفصحى وأهميتها، فإننا نجد بعضهم ما يزال مصراً على إلغاء التكلم باللغة العربية الفصحى أو الكتابة بها.

وقد كان فضل الله تعالى عظيماً على العرب حينما أنزل آخر كتبه بلغتهم، فصارت العربية لغة دين وحضارة، وكُتب لها القبول والرواج بحيث بدأ يتنافس في القيام لخدمتها نشراً وتعلماً وتأليفاً العجم قبل العرب، وقد بذل علماء الأمة عبر القرون جهوداً جبارة في خدمة اللغة العربية وتركوا من بعدهم تراثاً هائلاً يتمثل في آلاف المؤلفات تخدم القرآن الكريم والسنة النبوية في شتى علومها وفنونها.

وكانت هناك جهود كبيرة بذلها سلف هذه الأمة في سبيل نشر اللغة العربية والحفاظ على قوتها وجمالها، الا اننا نجد أن هناك تقصيراً واضحاً من قبل أبنائها تجاه لغتهم في العصر الحاضر، وما نراه كواقع يومي من مخاطبة مئات الآلاف من المقيمين غير العرب في الدول العربية بغير العربية أي (باللهجة العامية) وبالألفاظ والكلمات المكررة الدارجة التي ينطق بها أبناء لغة الضاد أثناء تحدثهم مع غير العربي مما لا يمكن إطلاق اللغة عليها. وهذه الظاهرة الخطيرة لا تنحصر في غير المتعلمين وغير المثقفين بل تجد الفئة المتعلمة والمثقفة يستخدمون الأسلوب نفسه في محاوراتهم لغير الناطقين بالعربية ويكون الموقف أكثر إيلاماً عندما تجد أن غير العربي يصر على التحدث بالعربية الفصحى والعربي المتعلم يقابله بالتحدث باللهجة العامية، وتلك المشاهد تتكرر يومياً.

يرجع الباحثون أسباب العامية بلهجاتها المختلفة إلى مجموعة من العوامل، منها:

- العامل الجغرافي: فقد تتسع الرقعة الجغرافية للمتكلمين باللغة، وتفصل بينهم الجبال والأنهار، ويقل التواصل بينهم، فتأخذ اللغة بالتغير شيئاً فشيئاً، ويسلك المتكلمون باللغة مسلكاً مختلفاً عن غيرهم، مما يؤدي إلى حدوث لغة جديدة.

- العامل الاجتماعي: تؤدي الظروف الاجتماعية في البيئات متعددة الطبقات إلى تعدد اللغات، فكل طبقة تحاول أن تكون لها لغتها، وأسلوبها المميز.

- العامل السياسي: قد يساعد انفصال قبيلة أو دولة، أو اعتناق المذاهب السياسية أو الدخول في الديانات الجديدة على دخول ألفاظ واصطلاحات جديدة في اللغة تسهم كلها في خلق لغة جديدة نابعة من سياقات سياسية في الأصل.

- الصراع اللغوي: ربما يكون هذا أهم العوامل التي تؤدي إلى تعدد اللهجات، وانتصار واحدة على أخرى، طبقاً لقوانين لغوية، فالأقوى حضارة ومادة يكتب له الانتصار.

إن اللهجة العامية ليست لغةً، بل هي طريقة شعبية أو أسلوب للتعبير عند الشعوب، أو لهجة تطورت مع الزمن واختلاط الشعوب العربية بغيرها، نتيجة للتجارة أو نتيجة لاستعمار بعض الدول للشعوب والدول الأخرى، إذ دخلت العديد من المصطلحات الأجنبية عند هذه الشعوب، حتى غدت لغة التداول اليومية. كما يرجع تشكل اللهجة أيضاً إلى تطور المجتمعات البشرية عبر العصور.

بالرغم من هذه الظروف كلها التي رافقت اللهجة المحلية ومبرراتها، فإنها لا يمكن أن تحلَّ - ولا بشكلٍ من الأشكالِ - مكان اللغة الأم، لأن اللهجات أشبه بفروع الشجرة التي تنتهي بالشجرة الأصلية، وهي اللغة الأم التي يجب أن نحتفظ بها ونصونها، لا أن ندعو إلى إلغائِها كما يحلو لبعضهم أن يتفوه ويتشدق.

وفي ما يلي بعض المقترحات لمكافحة آفة العامية:

• ربط الناشئة بالقرآن الكريم، كونه هو المانعة الوحيدة العقدية التي تجعل الناس يقبلون على قراءة القرآن.

• اهتمام المدارس والجامعات بالواقع اللغوي، والتركيز على ممارسة اللغة في قاعات الدرس، وابتعاد المعلمين والمحاضرين عن استخدام اللهجات العامية.

• اعتماد الجامعات مساقات متعددة في اللغة العربية، ليكون مطلباً إجبارياً لكل الدارسين، ويراعى فيها أن تكون خادمة للمهارات الأساسية والحياتية للغة الفصيحة.

• تخصيص مسابقة للعاملين في حقول التدريس الجامعي والمدرسي لتطوير آليات اعتماد اللغة الفصيحة كلغة خطاب يومي.

• مكافحة القنوات الإعلامية التي تعتمد العامية لغة في التخاطب وإعداد البرامج لتأهيل العاملين من أجل التخلص من هذه الآفة المدمرة.

• التخطيط لعمل شعبوي ونخبوي على مستوى الدولة الواحدة من أجل تعزيز مكانة العربية، وتعميق فهم المخاطر التي تحيق باللغة العربية لدى عامة الناس.

• تشجيع عادة القراءة لدى الشعوب، ولاسيما الناشئة، ومراقبة برامج الأطفال التي تعتمد اللغة العامية، ومنعها كلية.

وسائل نمو اللغة: (الاشتقاق، والنحت، والتعريب)

العربية أوسع اللغات مدى، وأغزرها مادة، وأوفاها بالحاجة الحقيقية من معنى اللغة؛ لكثرة أبنيتها، وتعدد صيغها، ومرونتها على الاشتقاق، وانفساحها من ذلك إلى ما يستغرق اللغات بجملتها، مع أنها أقل هذه اللغات أوضاعًا، حتى إن المستعمل منها لا يتجاوز ستة آلاف تركيب، كما تفرعت سائر مواد اللغة عن هذه التراكيب بالاشتقاق.

وظاهر أن اللغة لم تترام إلى هذا الاتساع إلا بعد أن قلبت على وجوه كثيرة في الاستعمال، وأديرت على مناحٍ مختلفة من الوضع؛ بما في أصل تكوينها من الحياة النامية التي تكافئ حياة أهلها وتماد أزمنتها مهما كثرت أغراض هذه الحياة واستفاضت معانيها، واستبحرت في مذاهب العمران؛ فهي في الكفاية سواء يوم كانت لغة الطبيعة البدوية الخشنة لا تلقيها إلا على ألسنة البدو الذين هم الجزاء المتكلم من تلك الطبيعة الصامتة، ويوم صارت لغة الحياة المنبسطة تصرفها الألسنة والأقلام في مناح من العلوم والآداب والصناعات التي قام بها التمدن الإسلامي. وإن صمت الطبيعة البدوية إنما هو في حقيقة الاعتبار جزء متمم في المعنى للغة أهلها، كما أن حركة العمران إنما هي حركة العمل في مصنع اللغة. وليس يخفى أن حياة اللغة وموتها أمران يؤخذان بالاعتبار؛ فإن اللغة الحية هي التي تكون مشايعة بأوضاعها لكل ما يجد من مستحدثات الحياة، فكلما خلت ألفاظها المتداولة بين أهلها مما يصور معنى جديدًا أو يؤدي غرضًا حادثًا، لم تعقم أوضاعها بما ينتج هذا اللفظ الجديد ويسد هذه الخلة الطارئة؛ فهي –بذلك- في ما تأخذ وتدع كأنها تتنفس، والتنفس أول صفات الحياة.

ولكن اللغة التي ترمى بأنها في سبيل الميتة، لا يزال يطرأ عليها النقص كلما زادت مستحدثات الحياة؛ لوقوفها عن حد من الوضع محدود، وقعودها بكل طريق تدفع إليه من طرق التعبير، فلا يبرح أهلها يتناولون من غيرها، ويزيدون نقصها؛ حتى تصبح بهذه المداخلة لغة جديدة من عمل الزمن وكأن أصلها بقية من أهلها، وأهلها بقية من أصلها؛ لفقدان المميزات الجنسية التي أخص دلائلها اللغة.

والعربية قد غَنِيت بأوضاعها حتى كأنها خلقت لتماد الزمن، وفيها من أسباب النمو ما يحفظ عليها شباب الدهر، غير أنه قد أصابها ما أصاب أهلها من تبدد الكلمة واضطراب الأمر ووهن الاستقلال وتمزق المجتمع، فأصبحت بعدهم كأنها محكومة بقوة خفية لا يعرف ما هي ولا يظهر منها إلا أثرها الذي تتبينه فيما لحق اللغة من الضعف وما رهقها من العجز، وفي جمودها على حال واحدة كأنها مقبورة في كتبها منذ تراجع التمدن الإسلامي أيام العباسيين إلى قريب من هذه الغابة.

ومتى كانت اللغة صورة الأمة فإن كان ما يعتور هذه يتصل أثره بتلك ضرورة. ولذلك بقيت العربية في نفسها على مرونتها الأولى حتى يتاح لها أقوام كأولئك الأقوام، وتفيض لها أقلام كتلك الأقلام.

والسؤال هنا: هل تصلح اللغة العربية التي كانت وعاءً لحضارة زاهية خلال قرون عدة في الماضي، أن تكون وعاءً لحضارة أخرى كالحضارة المعاصرة؟

إن جوهر الجواب هو أن اللغة التي كانت وعاء لحضارة زاهية في الماضي لن يُعجزها أن تستجيب لمُواضعات الحضارة المعاصرة، لِما في هذه اللغة من مرونة واتساع وتعدُّد الوسائل، والقابلية للنموِّ، وقد عقد القدماء من علماء العربية فصولاً مستفيضة في كتبهم لبحث عدة مسائل من اللغة، تدور كلها حول ظاهرة واحدة هي نمو اللغة في ألفاظها وأساليبها، ووسائل هذا النمو.

ويرى **الدكتور إبراهيم أنيس** أن هذه الطرائق - وإن لم يربط القدماء بينها - تمثل طرائق مثلى لنمو اللغة، وأنها هي التي أمدَّتنا بفيض زاخر من الألفاظ والأساليب، وجعلت من لغتنا العربية أغزر اللغات السامية مادة، وأكثرها تنوعًا في الأساليب، وأدقها في القواعد.

ومن هذه الوسائل التي فصل **الدكتور أنيس** القول فيها:

1- الاشتقاق. 2- النَّحْت. 3- التعريب.

1. الاشتقاق: هو انتزاع كلمة من كلمة أخرى، على أن يكون بينهما تَناسُب في اللفظ والمعنى، ويُعدّ الاشتقاق من أهم الروافد التي تمد اللغة العربية بما تريد من ألفاظ عن طريق هذا التوليد من (المادة الواحدة)، ومن أجل هذا **توصف اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية**؛ لأنها تتوصل إلى كلماتها عن طريق استخدام المادة بجميع صور الاستخدام.

ومن أنواع الاشتقاق:

1- **الاشتقاق الصغير:** ويسمى **الأصغر او العام او الصرفي**، وهو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية أو هيأة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل وزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيأة، كضارب من ضرب، وحَذِرَ من حَذَرَ، وطريقة معرفته تقليب تصاريف الكلمة، حتى ترجع الى صيغة هي أصل الصيغ، فكلمة (ضَرْبٌ) دالة على مطلق الضرب فقط، أما ضارب ومضروب ويضرب واضرب فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفاً وكلها مشتركة في (ض، ر، ب) وفي ترتيبها.

أما عن فائدة الاشتقاق فقال عنها ابن السراج (إن المنفعة عظيمة فيه ، لأن من تعاطى علمه سهل عليه حفظ كثير من اللغة ، لأنه أكثر بعضه من بعض، فإذا مرّ بألفاظ منتشرة بأبنية مختلفة تجمعها، جعل ذلك رباطا فلم تعجزه، وحفظ الكثير بالقليل).

2- **الاشتقاق الكبير:** ويسميه ابن جني **الاشتقاق الأكبر**، ويسمى كذلك **القلب او القلب اللغوي**، قال ابن جني: ((وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه، وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه، ردَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد)). وقد ضرب ابن جني على هذا الاشتقاق أمثلة

كثيـرة منها قولهُ: (فمن ذلك تقليب (ج ب ر) فهـي أين وقعت للقـوة والشدة)، وكذلك تقليب (ك ل م) وتقليب (ق و ل)، وقال: (وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة على القـوة والشـدة، وتقاليب القول الستة على الإسراع والخفة). واعترف ابن جني نفسه بأن هذا الاشتقاق صعب التطبيق على جميع نصوص اللغة. لـذلك لـم يكـن محـل اتفاق بين علماء العربيـة فمنهـم مـن أنكـره كالسيـوطي.

2. النحت: هو ((**أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ**)). وهو -كما عرفه الأستاذ عبد الله أمين- ((أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى معا بأن تعمد الى كلمتين أو أكثر، فتسقط منهما، أو من بعضها حرفاً أو أكثر وتضم ما بقي من أحرف كل كلمة الى الأخرى وتؤلف منهما جميعا كلمة واحدة فيها بعض أحرف الكلمتين، أو الأكثر، وما تدلان عليه من معان)).

وأمثلته القديمة في اللغة أكثر من أن تُحصى مثل: **بسمل، وحيعل، واسترجع؛** (أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون)، **وبأبأ**: أي قال له: بأبي أنت وأمي، **وحوقل** (أي قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ويقولون كذلك: **عبدري** (أي من بني عبد الدار)، **وعبشمي** (أي من بني عبد شمس).

3. التعريب: هو لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناءً على ذلك الموضوع. **ويسمى المعرّب دخيلاً** أيضاً، وهو (**اللفظ الأعجمي الذي أدخلته العرب في لغتها، وصقلته على منهاجها وأوزانها، أو تركته بغير صقل، وربما تناولته بالاشتقاق**)، **فالمعرّب** هو اللفظ الأعجمي الذي يدخل اللغة العربية عن طريق الاحتكاك باللغات الأجنبية وقد تطرأ عليه تغييرات في الحذف والزيادة وقد تبقى اللفظة الأجنبية على حالها من غير تغيير وتعامل معاملة المفردة العربية في اجراء مقاييس العربية عليها.

ولم يختلف اللغويون العرب قدامى ومحدثون في مسألة وقوع المعرب في اللغة العربية، بل اعترفوا به وعدّوه وسائل إثراء اللغة العربية وذكروا ألفاظاً كثيرة نسبوها الى لغاتها التي أخذت منها، فمن هذه الألفاظ ما أخذ من الفارسية ومنها ما أخذ من الحبشية ومنها من الآرامية. ولكن الخلاف الذي حصل هو في وجود اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم الذي قال الله سبحانه عنه: ((**إنا جعلناه قرآناً عربياً**)) (الزخرف: 3).

ووضع بعض علماء العربية علامات عامة يتميز بها كثير من الكلمات المعرّبة (الدخيلة)، ومن هذه العلامات:

1- أن تكون الكلمة مخالفة لأوزان العربية: نحو (إبريسم، وخُراسان، وجبريل).
2- أن تكون فاء الكلمة نوناً وعينها راءً نحو (نرجس، ونرد، ونرجيل).
3- أن تنتهي الكلمة بدل فزاي نحو مهندز، وقد قلبت زايه سينا عند تعريبها.
4- أن تشتمل الكلمة الجيم الصاد معا نحو (جص، وصنج، وصولجان).

5- أن تشمل الكلمة على الجيم والقاف معا نحو (المنجنيق، والجوقة، والجوالق: هي وعاء، والجردقة وهي اسم للرغيف، والجرموق وهو ما يلبس فوق الخف، والجوسق وهو القصر).
6- ان تكون الكلمة رباعية او خماسية مجردة من حروف الذلاقة التي يجمعها قولها (مر بنفل) نحو (جوسق).

ومن الألفاظ التي ذكر علماء العربية أنها معرّبة من لغات أخرى وقد دخلت هذه الألفاظ القرآن الكريم، فقد ورد في القرآن الكريم من الفارسية سجيل وإستبرق، ومن الرومية: الصراط، والقسطاس، والفردوس، وشيطان، وإبليس، ومن الحبشية: أرائك، ومشكاة، ومن السريانية والعبرية: اليـم، والطور، والفوم، وطه.

الظواهر اللغوية: (الإعراب، والترادف، والمشترك اللفظي، والتضاد)

اشتهرت اللغة العربية بمجموعة كبيرة من الظواهر اللغوية التي شاعت وانتشرت بين نصوصها، واتخذها النحاة واللغويون أداة للتحليل اللغوي، وسبر أغوار اللغة، وتذوق النصوص اللغوية المختلفة.

ومن الظواهر اللغوية التي اشتهرت بها اللغة العربية: (الإعراب، والترادف، والمشترك اللفظي، والتضاد).

1. الإعراب

الاعراب -في اللغة- هو **الافصاح والتبيين**. اما في الاصطلاح فهو **اثر ظاهر او مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة**.

ويعد الاعراب من اشد خصائص العربية وضوحاً، ومراعاته في الكلام هي الفارق الوحيد بين المعاني المتكافئة، فالحركات الملحقة في آخر الكلمات هي المعيار الذي تحتكم اليه الجملة العربية للتوفيق بين المعاني التي تؤديها.

والاعراب -وان كان ظاهرة قديمة في لغة العرب- تذكره كتب اللغة بأنه بدأ مع ابي الاسود الدؤلي حين بدأ بإعراب القرآن الكريم.

ان قضية الاعراب قضية قديمة، وهي موجودة في اللغات الجزرية القديمة وبخاصة تلك التي كانت تستعمل المقاطع كالبابلية والآشورية، وقانون حمورابي فيه اعراب كما هي الحال في العربية، فعلامة الرفع الضمة، وعلامة النصب الفتحة، وعلامة الجر الكسرة، والمثنى يرفع وتكون علامة رفعه الالف، وينصب ويجر وتكون علامة نصبه وجره الياء، وجمع الذكور يرفع وتكون علامة رفعه الواو، وينصب ويجر وتكون علامة نصبه وجره الياء، كذلك توجد حالات الاعراب في اللغة الحبشية.

ان وجود ظاهرة الاعراب في هذه اللغات دلالة بينة **تنبئ عن اصالته في اللغة العربية**، ومن يتأمل كتب النحاة يجد انهم أجمعهم -ما عدا قطرب- يرون ان حركات الاعراب تدل على المعاني المختلفة التي تعتور الاسماء من فاعلية او مفعولية او اضافة او غير ذلك، اما قطرب فيرى ان الحركات انما جيء بها للسرعة في الكلام وللتخلص من التقاء الساكنين في درج الكلام، وقد ردّ عليه النحاة انه لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة ونصبه أخرى وجاز نصب المضاف اليه؛ لان القصد في هذا انما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام.

ويرى برجستراسر ان الاعراب ظاهرة تشمل اللغات التي تكلمت بها شعوب الجزيرة، ويرى يوهان فك ان العربية تتسم بسمة تعد من اقدم السمات اللغوية ألا وهي سمة الاعراب التي تدل على اصالة هذه اللغة.

ومهما يكن من امر فإن للإعراب علاقة وثيقة بالمعنى، ولم يكن مجرد حركات وصل بين الكلمات، وقد وصلنا القرآن الكريم معرباً، وقرأه الرسول الكريم (ص) معرباً، وان الرسم القرآني نفسه يؤيد وجود الاعراب.

وللإعراب دور مهم في تكوين الجملة، ولو فقد الاعراب للزم ان تكون الجملة على نظام واحد.

2- الترادف

الترادف -في اللغة- هو ركوب أحد خلف آخر، يقال رَدِفَ الرجلُ وأردفه أي ركب خلفه. والترادف -في الاصطلاح- ما اختلف لفظه واتفق معناه، أو هو أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد، مثل: أسهب وأطنب وأفرط وأسرف وأغرق بمعنى واحد.

وفكرة الترادف قديمة إذ جاءت قبل ظهور هذا المصطلح عند سيبويه (ت180هـ) قال: ((هذا باب اللفظ للمعاني: اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه، من المَوْجِدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة)) وواضح من قول سيبويه أن اختلاف اللفظين والمعنى واحد أنه يقصد المترادف.

ومن أمثلة المترادف وهو تسمية الشيء بأسماء مختلفة نحو: أسد، ليث، ضرغام، عباس، سبع، قسورة، حيدرة. ومثال: سيف، قاطع، حسام، مهند، أحدب، اليماني.

وقد انقسم العلماء بإزاء هذه الظاهرة على قسمين:

أحدهما: وهو القسم الأكبر، أيّد وقوع الترادف، وهم أغلب علماء العربية، غير أن بعضهم بالغ في هذه المسألة، فقد ذكروا أن للسيف ألف اسم، وللأسد خمسمائة، وللحية مائتين، وللخمرة أربعين، وللعسل ثمانين اسماً.

والآخر: وهم الذين رفضوا ظاهرة الترادف ملتمسين فروقاً دقيقة بين الألفاظ المترادفة، وعلى رأسهم ابن الأعرابي (ت231هـ). من ذلك (قعد وجلس)، فالقعود من القيام. والجلوس من النوم و(قام ونهض) القيام من القعود والنهوض من الاستلقاء، فهو يرى ((كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى من المعاني فإن في كل واحد منهما ما ليس في صاحبه ربما عرفنا فأخبرنا به، وربما غمض فلم نلزم العرب جهله))، وكذلك أبو العباس ثعلب (ت290هـ) الذي يرى في كتابه (الفصيح): ((أن كل ما عدّ من المترادفات إنما هو من المتباينات)). ومن هؤلاء أبو علي الفارسي الذي يرى في المترادفات أن أحدها الاسم والباقي صفات له وليس أسماء فليس هناك ترادف فكلمة (السيف) يراها اسماً وبقية المترادفات صفات، مثل الحسام والصارم وغيرها.

أسباب حدوث الترادف

1- انتقال كثير من مفردات اللهجات العربية الى لهجة قريش بفعل طول الاحتكاك بينهما.

2- دوّن أصحاب المعجمات كلمات كثيرة كانت مهجورة في الاستعمال مع المستعمل من الألفاظ، فصارت الألفاظ المهجورة مع الجديدة مترادفات لمسمى واحد.

3- اختلاف اللهجات العربية فقد تسمى قبيلة الشيء باسم وتسميه القبيلة الأخرى باسم غيره، فعندما جمعت هذه الكلمات صارت مترادفة.

4- لم يميز واضعو المعجمات بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فثمة كثير من المترادفات لم توضع في الأصل لمعانيها الحقيقية، بل كانت تستعمل في هذه المعاني استعمالاً مجازياً.

3- المشترك اللفظي

المشترك -لغةً- مأخوذ من الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدُهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صِرْت شريكه. واصطلاحاً أن تكون اللفظة لمعنيين أو أكثر، وهو ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة)). وأطلق القدامى على المشترك اللفظي عبارة: ((ما اتفق لفظه واختلف معناه)).

ومن أمثلة المشترك اللفظي ((الخال أخ الأم، والخال الذي في الوجه، والخال مصدر خلت ذلك الأمر أخالة خالاً ومخالة، وهو الظن منك للشيء، لم تحققه، والخال السحاب من المخيلة، والخال الكبر، وثياب الخال يمانية... والخال اللواء الذي يعقد)).

ومن أمثلة المشترك اللفظي كذلك ما قاله أبو العميثل الإعرابي: ((العين على ثلاثة عشر وجهاً، والعين هو النقد من دنانير أو دراهم، والعين مطر أيام لا يقلع، والعين عين البئر، وهو مخرج مائها. والعين القناة التي تعمل حتى يظهر ماؤها. والعين الفوارة التي تفور من غير عمل، والعين عين الإنسان، والعين عين الميزان، والعين عين الركبة)).

وكما وقع الخلاف بين اللغويين حول الترادف في اللغة، فأنكره بعضهم، نجد الأمر نفسه في المشترك اللفظي، فقد أنكره ابن درستويه، فقال: ((فإذا اتفق البناءان في الكلمة والحروف، ثم جاء المعنيان مختلفين لم يكن بد من رجوعها الى معنى واحد، فيشتركان فيه، فيصيران متفقي اللفظ والمعنى)). وأنكر في موضع آخر أن يكون للفظ (وجد) من المعاني المختلفة ما رواه اللغويون فيه وهو العثور على الشيء والغضب والعشق، ((فظن من لم يتأمل المعاني، ولم يتحقق الحقائق، أن هذا لفظ واحد، وقد جاء لمعانٍ مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيراً كان أم شراً.

وأكثر اللغويين القدامى ذهبوا الى وجود المشترك اللفظي، ولم ينكروا وجوده، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد (ت 170هـ)، وسيبويه (ت180هـ)، وأبو زيد الأنصاري (ت215هـ)، وأبو عبيد (ت224هـ)، وابن قتيبة (ت276هـ)، وابن الانباري (ت328هـ)، وابن خالويه (ت370هـ).

أسباب نشوء المشترك اللفظي

1- اختلاف اللهجات العربية: فقد جاءت كثير من ألفاظ المشترك اللفظي نتيجة اختلاف القبائل في استعمالها، وقد ضم أصحاب المعجمات هذه المعاني المختلفة للفظ، من غير أن ينسبوا كل معنى الى القبيلة التي كانت تستعمله.

2- انتقال قسم من الألفاظ من معناها الأصلي الى معانٍ مجازية أخرى لعلاقة ما، ثم كثر استعمالها، حتى أصبح إطلاق اللفظ مجازاً في قوة استعماله حقيقة، من ذلك لفظة (العين).

3- اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة: إذ ربما كانت اللفظة المقترضة تشبه في لفظها كلمة عربية، لكنها ذات دلالة مختلفة، وقد حدث هذا في العربية ففيها أن ((السَّكر نقيض الصحو وفيها أيضاً (كل شق سُدَّ فقد سُكر والسَّكر سد الشق)، فالمعنى الأول عربي والمعنى الثاني معرّب من الآرامية.

4- تطور دلالات الألفاظ الإسلامية: فقد زادت معانٍ جديدة على ألفاظ قديمة لم تكن العرب تعرفها بهذا المعنى، منها: الكفر، والزكاة، والصلاة، والهدى، والربا.

4- التضاد

التضاد –**لغةً**- هو النقيض والمقابل، و((الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل والشجاعة والجبن)). **واصطلاحاً** هو استعمال اللفظ الواحد للدلالة على الشيء وضده.

والتضاد نوع من المشترك اللفظي، فكل تضاد مشترك لفظي، وليس العكس.

ومن أمثلة الأضداد: **البسل**: الحلال، والبسل: الحرام، **الجون** يطلق على الأسود ويطلق على الأبيض، **والجلل** يدل على العظيم، ويدل على الهين واليسير. **والسليم** يقال: سليم للسليم، وسليم للملدوغ، **ويشري**: يدل على البيع ويدل على الشراء.

أما موقف اللغويين القدامى من الأضداد فقد انقسموا على قسمين:

أحدهما: يرى وقوعه في الكلام العرب، وقد ألّف بعض علماء العربية كتباً أحصوا فيها ما جاء في كلام العرب من الأضداد، من هؤلاء قطرب، والأصمعي، وابن السكيت، وأبو حاتم السجستاني، وابن الانباري، وأبو الطيب اللغوي، والصاغاني.

والآخر: ينكر الأضداد ومنهم ابن درستويه، قال: ((النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضاً، وانه من الأضداد، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا إبطال الأضداد)). ومن المنكرين -أيضاً- الآمدي (ت370هـ)، إذ ألف كتاباً في إنكار الأضداد.

أسباب نشوء التضاد

1- دلالة اللفظ في الأصل وضعه على معنى مشترك بين الضدين، ثم يتخصص هذا المعنى في لهجة من اللهجات بأحد المعنيين، ويتخصص بالمعنى المضاد في لهجة أخرى، فكلمة (الصريم) تقال لليل وتقال للنهار؛ لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، وأصل المعنيين من باب واحد، وهو القطع.

2- انتقال اللفظ من معناه الأصلي الى معنى آخر مجازي: فقد يكون اللفظ موضوعاً عند قوم لمعنى حقيقي، ثم ينتقل الى معنى مجازي عند هؤلاء أو عند غيرهم فيكون للتفاؤل، كإطلاق لفظ (الحافل) على الممتلئ وعلى الخالي، (السليم) على الملدوغ والمفازة على المهلكة، أو يكون لاجتناب التلفظ بما يكره، مثل إطلاق لفظ المولى على العبد مثلما يطلق على السيد، وإطلاق لفظ (البصير) على الأعمى.

3- الخوف من الحسد: شاع الاعتقاد عند بعض القبائل بالسحر والإصابة بالعين فتركوا وصف الأشياء بالحسن والجمال خوفاً من الحسد فيقولون: (شوهاء) للفرس الجميلة، كما يطلقون ذلك على الفرس القبيحة، وذلك دفعاً للحسد عن الفرس الجميلة.

4- احتمال الصيغة الصرفية للمعنيين معاً: ثمة صيغ في العربية تستعمل للفاعل والمفعول، ومن هنا نشأ التضاد في كثير من معاني هذه الصيغ مثل الغريم: بمعنى الدائن والمدين، والقنيص بمعنى: القانص والمقنوص.

المباحث اللغوية: (الرسائل اللغوية، والمثلث اللغوي، والفروق اللغوية)

1. الرسائل اللغوية:

وهي تلك المعاجم التي كانت الرسائل اللغوية الأولي نواة نشأتها مثل كتاب خلق الإنسان، وكتاب النبات وكتاب المطر، أخذت في التطور شيئاً فشيئاً، حتى وجدنا في لغتنا العربية أكبر معجم يندرج تحت هذا النوع، وهو "المخصص" لابن سيده (ت458هـ)، ويضم بداخله سبعة عشر سفراً، استوعبت هذه الأسفار ما كان في تلك الرسائل الصغيرة التي سبقته.

وتعّد الرّسائل اللّغويّة التي ظهر معظمها الأغلب في القرنين الأوّل والثّاني الهجريّين **(وهي عبارة عن كتب صغيرة الحجم)** النّوى الأولى للقواميس العربيّة، بحكم ما تضمنّته من قوائم في المفردات شُفِعت بشروح لها وشواهد توضّح كيفيّة جريان استعمالها على ألسنة الفصحاء. وقد توخّى واضعوها في تصنيفها طريقة الجمع **إمّا بحسب الموضوعات،** فأفردت كلّ رسالة منها لموضوع بعينه نحو "الوحوش"، و"المطر"، و"الشّجر"، و"خلق الإنسان"، و"السيف"، و"النوادر". **وإما طبقاً لظاهرة صرفيّة محددّة** مثل المثلّثات **(وهي الألفاظ التي يجوز في عينها الحركات الثّلاث)** أو الأفعال التي جاءت على صيغتين صرفيّتين نحو: فَعَل وأفْعَل أو التي تشترك في خصيصة صوتيّة مّا كالألفاظ التي تشترك في حرف معيّن نحو الهمزة أو اللاّم أو غيرهما، وإما **دلاليّة** مثل الأضداد والغريب والنّوادر.

ومن أبرز من ألّفوا هذه الرسائل اللّغويّة عبد الله بن عبّاس (ت68هـ)، ويونس بن حبيب (ت172هـ)، وقطرب محمد بن المستنير (ت206هـ)، وأبو عبيدة معمّر بن المثنّى (ت209هـ)، والأصمعيّ (ت216هـ)، وأبو زيد الأنصاريّ (ت215هـ)، وأبو مسحل الأعرابيّ (عاصر أبا زيد الأنصاريّ)، وأبو حاتم السّجستانيّ (ت255هـ)، وإبراهيم بن السريّ الزّجّاج (ت311هـ)، أبو بكر الأنباريّ (ت328هـ).

ومن أبرز الكتب التي ألفت في ذلك وقد سبقت ابن سيده كتاب (غريب المصنف) لأبي عبيد (ت222هـ)، و(الألفاظ) لابن السكيت (ت244هـ)، و(الألفاظ الكتابية) للهمذاني (ت327هـ)، و(مبادئ اللغة) للإسكافي (ت421هـ)، و(فقه اللغة) للثعالبي (ت429هـ).

ويهدف هذا النوع من المعجمات إلى جمع الألفاظ الموضوعة لشتى المعاني، ويرغب في معرفة اللفظ الموضوع له، ويُطْلِق على هذا النوع (معاجم المعاني) أو (معاجم الموضوعات).

2. **المثلث اللغوي:**

التثليث في العربية يعني تحريك أحد حروف الكلمة غير حرف الإعراب بحركات ثلاث قد تختلف في معانيها وقد تتفق، فالتثليث في الأسماء تحريك الفاء أو العين بالحركات الثلاث، والتثليث في الافعال تحريك العين بالحركات الثلاث: الكسر والضم والفتح، ولا يكون التثليث بغير العين.

أسباب التثليث وفوائده:

لتثليث الكلام أسباب وفوائد، وتعطي اللغة غنى وقدرة على التعبير والقول والكلام طلاوة وجمالاً، والمتكلم فسحة وحريّة، وقدرة على التعمية والإلغاز، والمتأمّل في المثلثات يرى أنّ اهم فوائدها وأسبابها:

1 ـ **التوسع في المباني**: وجعل المعنى له أكثر من لفظ، لتعين القائل على التعبير عمّا في نفسه، فقد يعسر عليه نطق لفظ بحركة من الحركات، فيلجأ إلى اللفظ الآخر لأنّه أخفّ حركة على لسانه وأيسر نطقاً من غيره، وهذا -بلا شك- تيسير أيما تيسير.

2 ـ **اختلاف المعاني**: وهو بضد الأول، أي إنه يفيد توسعاً في المعاني، وهذا أمر مقرر في اللغة، وكلّ زيادة في المبني تفيد زيادة في المعنى، وكلّ تغير في صورة الكلمة يعطي معنى جديداً لها ولا شك في أنّ بعض الحركات تزيد على بعض، وأنّ بعضها أخف وأثقل من بعض، كما أنّ بعضها يغاير بعضها الآخر، والمعاني تتوافق مع الحركات شدّة وقوّة وخفّة وضعفاً، واختلاف المعاني بحسب الحركات أمر مقرّر لا جدل فيه ولا مراء، وعليه قام علم النّحو، وقام علم الصّرف، فالحركة في الكلمة تنقلها من معنى إلى معنى أو تعطيها جزئيّة خاصة أو صورة أخرى من المعنى الكبير الذي يدلّ عليه اللّفظ، ويشعر به في مختلف صوره.

وقد بدأ التّأليف في هذا الفن على يد "قطرب" (محمد بن المستنير، ت206هـ) وهو من نحويي البصرة، ولقّبه "سيبويه" بقطرب لأنه كان يبكّر إليه للأخذ عنه، فإذا خرج سحراً رآه على بابه، فقال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل، والقطرب: دويبة تدبّ ولا تفتر، فلقّب بذلك، ولكنّه في كتابه ركّز على المختلف دون المؤتلف واقتصر على الأسماء، ثمّ ألّف من بعده مؤلفون كثر في هذا المجال منهم: الزجاج (ت311هـ)، والبطليوسي (ت521هـ)، والإمام ابن مالك (ت672هـ) وغيرهم كثير.

ومن أمثلة المثلثات:

1- السَّلام، والسِّلام، والسُّلام بفتح السّين وكسرها وضمّها مع التّشديد، فأمّا السَّلام (بفتح السّين) فيعني التحيّة، ومنه قوله جل ذكره: (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ) (إبراهيم: 23)، وأما السِّلام (بكسر السّين) فجمع سَلِمَة وهي الحجارة، وأمّا السُّلام (بضمّ السّين) فعروق ظاهر الكفّ والقدم، وجمعها سُلاميات وسِلاَم.

2. القَسط، والقِسط، والقُسط، بفتح القاف وكسرها وضمّها، فأمّا القَسط (بفتح القاف) فهو الجور، ومنه قوله تعالى: (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً) (الجن: 15)، وأمّا القِسط (بكسر القاف) فهو العدل، قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) (الرحمن: 9)، وأمّا القُسط (بضمّ القاف) فهو الذي يتبخّر به.

3. الفروق اللغوية:

من الظواهر المهمة التي تدل على ميل العربية نحو التخصيص والتمييز والدقة في وظيفتها البيانية ظاهرة الفروق اللغوية؛ إذ تكشف هذه الظاهرة عن القدرة البيانية للغة العربية وطاقاتها التعبيرية وإمكاناتها للتمييز بين المسميات المختلفة بأدق التفاصيل. وموضوعها لا يضمه باب خاص من أبواب الكتب اللغوية القديمة بل نجده متناثراً في مصنفات مختلفة، وعني به العلماء في مجالات متعددة، ولعل أقدم كتاب وصل إلينا اختص بهذه الظاهرة هو كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري في أواخر القرن الخامس الهجري.

وتعرف بأنها ظاهرة تخص معاني الألفاظ التي تجمعها صلة دلالية وعلاقة معنوية، غايتها رسم الحدود الدلالية بين الألفاظ، ومنع التداخل والتمازج بين معاني الألفاظ وتتبع مواقع الفصل بإثارة دقائق التعبير، والحفاظ على مزية اللفظ واستخدامه في دلالة معينة.

والمعروف أن الألفاظ هي دوال لمدلولات خارجية، والمتكلم هو الذي صنف الكون وموجوداته تصنيفات مختلفة بحسب نظرته لما هو موجود حوله، فحوّله إلى مدلولات اختار لها دوال باعتماد معيار المخالفة الذي هو أساس الدلالة؛ لذا فإن اختلاف مواد الالفاظ وتباين صورها يوجب اختلاف معانيها، ووجود لفظين يؤديان غرضًا واحدًا ينافي حكمة الوضع، وقد وضح الجرجاني هذه العلاقة بين اللفظ والمعنى بقوله: **(لن تتسع المعاني حتى تتسع الألفاظ)**، فإن اتساع المعنى وتعدد المدلولات يقتضي أن تتعدد الألفاظ لتستوعب هذه المعاني.

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة:

- **التفريق بالخاص بعد العام**

نجد في العربية ألفاظاً تدل على معان كلية، وتختلف في ما بينها من حيث الخصوص والعموم مثلاً: الحديث عام، والسمر الحديث ليلاً، السير عام، والإدلاج خاص بالليل، النوم عام والقيلولة النوم منتصف النهار.

- **التفريق بالتقييد**

مثلا الكوب، الكأس كوب فيه شراب، الدلو، والسجل دلو فيه ماء

- **التفريق في الصفات**

فمدلول الأسد له مسميات متعددة ناظرة إلى صفاته المختلفة، مثلاً الخادر لاستتاره في عرينه، والدالف لدلفانه في مشيه، والذيّال لطول ذنبه، والضيغم لضغمه وهو العض.

الخط العربي النشأة والتطور والخصائص

الخط العربي هو عبارة عن حلقة من الحلقات المرتبطة بالتاريخ العربي الكبير، فهو يشبه الكثير من الخطوط الأخرى واللغات الأخرى الهيروغليفي أو الهيراطيقي أو الديموطيقى، فهو يشبه تلك الخطوط من حيث تأثير الحضارة بيهم.

كما أن هذا الخط له تأثير كبير في التاريخ الإسلامي، فعندما يدخل الإسلام أي دولة يدخل معه الخط العربي، لذلك انتشر الخط العربي في الكثير من الدول وبين الشعوب، كما يجب أن نشير الى أن الدين الإسلامي هو الذي ساعد في تطور الخط العربي بنحوٍ كبير.

والخط العربي هو أهم الفنون التي أبدعتها الحضارة العربية الإسلامية وأكثرها انتشاراً في بلاد العرب والمسلمين على السواء، إذ هو حاضر في أنواع العمائر كما في الأواني والأثاث والملابس، وهو صناعة تثير في النفس أصدق مشاعر التوقير والإجلال ويشعر المسلم بأنه عضو في الأمة الإسلامية، إذ هو قبل كل شيء أداة التعبير القرآني، وهو هندسة روحانية بآلةٍ جسدية تجمع بين تجريد المعنى ومادية الرسم، وتحيط الناظر بأطر جمالية معرفية تمزج المادي بالمجرد فيرى نفسه فيه ويعمل على تجاوز المادي بحثاً عن المجرد تمكيناً لإيمانه بالله العلي القدير وسعياً به إلى الرقي في درجات الكمال.

حظي الخط العربي بأهمية كبيرة في الحضارة العربية الإسلامية وظهرت الحاجة إليه منذ بداية النهوض الحضاري الذي شهدته الأمة العربية في صدر الإسلام. وقد تجلت فضيلة الكتابة والخط أن جعلها الله تعالى في أول آية افتتح بها الوحي؛ قال تعالى في كتابه العزيز: (اقرأْ وربكَ الأكرمَ الذي علمَ بالقلمِ، علمَ الإنسانَ ما لمْ يعلمْ). فكانت أعظم شاهد لجليل قدر الكتابة، وأول سورة نزلت في القرآن الكريم تذكر القلم أضاف فيها (سبحانه وتعالى) تعليم الخط إلى نفسه. وامتن به على عباده وناهيك بذلك شرفاً. وأقسم الله تعالى بما يسطرون والأقسام لا يقع منه سبحانه إلا بشرف ما أبدع فقال (عز وجل) في معرض القسم: (ن. والقلمِ وما يسطرونَ). وما قسمه تعالى إلا بعظيم ما أبدع فأقسم بما يسطر وما ذلك إلا الخط. وأكَد ذلك فأقسم بالقلم الذي هو آلة الخط.

نشأته وتطوره

1. أصل الحروف العربية:

تكاد تجمع معظم المصادر العربية القديمة، على أن الخط الذي كتب به العرب، قد علمه الله (عز وجل) لآدم عليه السلام، فكتب به الكتب المختلفة، ولكن هذا الرأي لا يقوم على أساس من العلم أو سند من التاريخ الصحيح.

وما جاء في مقدمة ابن خلدون، دحض لذلك، إذ عدّ ابن خلدون الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية، وقياساً على ذلك، فهو ضرورة اجتماعية اصطنعها الإنسان، ورمز بها للكلمات المسموعة.

والكتابة كما هو معروف، تعد المرتبة الثانية من مراتب الدلالة اللغوية، تابعة في نموها وتطورها شأن كثير من الصناعات المعاشية لتقدم العمران والحضارة. ولهذا لسبب فإن الكتابة تنعدم مع البداوة، وتكتسب وتزدهر مع التحضر.

وقيل: إن ما وصلت إليه هذه الحروف من المكانة الفنية يعد من أكثر التطورات التاريخية عظمة، إذ أصبح الخط العربي أول الخطوط السامية تناسقاً، وأبدعها شكلاً، واستطاع عباقرة الخط -في ما بعد- أن يضعوا له قواعده وأصولاً روعي فيها أن تؤدي صور الحروف حسناً في النظر شبيهاً بحسن مخارج اللفظ العذب في السمع.

2. نشأة الخط العربي:

يرجع الفضل في انتقال الكتابات القديمة لمرحلة الحرف إلى الدولة الفينيقية، منذ أكثر من ثلاثين قرناً. ثم تفرعت الحروف الفينيقية إلى أربعة فروع، هي: الآرامية، واليونانية، والحميرية، والعبرية. ثم تفرع الخط الآرامي إلى ستة فروع، وهي: التدمري، والهندي، والفارسي، والفهلوي، والعبري، المربع، والسرياني. ثم نشأ من الخط السرياني خطان، وهما: الخط الحميري، والخط النبطي.

ثم تفرع الخط النبطي إلى الخط العربي. وهكذا أخذ العرب خطهم عن الأنباط، والأنباط عرب، كانوا يسكنون شمالي الجزيرة العربية، وكانت عاصمتهم البتراء. وقد أثبتت النقوش الأثرية التي اكتشفها المستشرقون في سوريا، أن الخط العربي قد اشتق من الخط النبطي. وهذا النقش يشتمل على ثلاثة أنواع من النقوش المكتوبة بالخط النبطي العربي:

أ ـ نقش وجد في موقع أم الجمال في سورية، أرخه ليتمان بسنة (270م) تقريباً.

ب ـ نقش وجد في صحراء النمارة، كتب على قبر امرئ القيس، تاريخه (328م).

ج ـ نقش وجد في مدينة حران جنوبي سورية، تاريخه (569م).

3. تطور الخط العربي

مر الخط العربي بالكثير من التطوير، لذلك من أهم تلك المراحل هي:

* أن الدين الإسلامي قد انتشر خارج البلاد الجزيرة العربية، منذ تلك اللحظة أصبحت اللغة العربية الأكثر استخدام في مجالات عديدة، وبدأ الكثير من الأشخاص يدخلون في الإسلام ويتعلمون الخط العربي.

* كما أن التنوع الفكري في الدول المختلفة التي داخلها الإسلام، أدى ذلك إلى تنوع العديد من المدارس في الخط العربي، ومن أهم تلك المدارس هي الخط الديواني والخط التعليق.

* أما بالنسبة الى التطوير الكبير الذي قد حدث في الخط العربي هو في عصر الدولة الأموية، فقد قام أبو الأسود الدؤلي بوضع نظام التنقيط الخاص برسم الحركات، وهب حركات يتم وضعها بجانب الحروف أو فوقها أو تحتها.

* قد انتشر هذا النظام بنحوٍ كبير في عصر الحجاج بن يوسف.

* وقد تم كتابة القرآن الكريم بطريقتين مختلفتين كانت علامات الإعراب بالأصفر والأحمر، بينما الحروف كانت باللون الأسود.

* كما أن الخليل بن أحمد الفراهيدي قد قام بإدراج نظام وطريقة مغايرة في التشكيل.

* هذه الطريقة لا تعتمد على الألوان، وأن هناك العديد من الرموز المتنوعة في الشدة، والحركات والهمزة.

خصائصه

يمتاز الخط العربي بالكثير من الخصائص التي جعلته مميزاً من غيره من الخطوط الأخرى، ومن أهم تلك الخصائص هي:

* قد نشأ الخط العربي نشأة عربية كاملة، لم يتدخل فيه أي عوامل أخرى، فقد قال الدكتور مصطفى عبد الرحيم: **يعد الخط العربي هو الفن الوحيد الذي قد تم نشأته في الدول العربية لذلك فهو عربي خالص،** ذلك فهو لم يتأثر بأي مؤثرات أخرى.

* كما أن الخط العربي قد نال شرف عناية العرب الخاصة به، فقد أسهم في ذلك أنهم تفننوا وتباهوا في كتابة حروفه.

أهم أنواع الخطوط العربية

الخط الكوفي: هو من أجود الخطوط العربية شكلاً وتنسيقاً ومنظراً، وقد انتشر استخدامه في العصر الفاطمي في مصر، وفي إيران في عهد السلاجقة. **خط الثلث**: وهو من أصعب الخطوط كتابة، إذ تتعدد أشكال معظم الحروف. **خط النسخ**: والذي وضع قواعده الوزير ابن مقله، وقد أطلق عليه النسخ لكثرة استعماله في نسخ الكتب. **الخط الفارسي**: وله طابع خاص؛ إذ يمتاز بالرشاقة في حروفه، إذ تظهر كأنها تنحدر من اتجاه واحد. **خط الرقعة**: ويمتاز بسهولة وسرعة كتابته. **خط الديوان**: وهو الخط الذي كان يستعمل في كتابة الدواوين.

النظام الصوتي للغة العربية: (تعريف الصوت وإدراكه وأعضاء النطق/ موجز عن جهود العرب القدامى في علم الأصوات/ مخارج الأصوات/ صفات الأصوات)

تعريف الصوت

يقول **ابن جني** في كتابه **"سر صناعة الإعراب"** في تعريف **الصوت**: **"الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له الحلق والفم والشفتين، مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً"**.

ويحدث الصوت اللغوي عندما يستعد الإنسان للكلام الاعتيادي، فيستنشق الهواء فيملأ به صدره قليلاً، وإذا أخذ في التكلم، فإنّ عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأوّل مقطع صوتي، ثم تتقلص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة، تدفع الهواء إلى أعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات، وتواصل عضلات البطن تقلصاتها في حركة بطنية مضبوطة.

وعلم الأصوات هو العلم الذي يتناول دراسة الأصوات الإنسانيّة في جانبها المادي؛ من أجل وَصْفها، وتحليلها، وتفسيرها، وكتابتها، معتمدًا في ذلك كلّه، على النظريات والمعارف المُستمدة، من الفروع الرئيسة الثلاث لعلم الأصوات: **وهي علم الأصوات الفيزيائي، وعلم الأصوات السمعي، وعلم الأصوات الفسيولوجي.**

إدراك الصوت

وإدراك الصوت أو الكلام هو العملية التي يتم عبرها سماع الأصوات الصادرة من التحدث باستخدام لغة معينة وتفسيرها وفهمها.

وترتبط دراسة **إدراك الكلام** ارتباطًا وثيقًا بمجالات علم الأصوات في اللغويات وعلم النفس المعرفي والإدراك الحسي في علم النفس. ويسعى البحث في إدراك الكلام إلى فهم كيف يتعرف المستمعين إلى الأصوات الصادرة من الكلام واستخدام هذه المعلومات لفهم اللغة المنطوقة.

أعضاء النطق

لا يوجد عند الإنسان جهاز خاص بالنطق، والأعضاء المسؤولة عن خروج الأصوات اللغوية على قسمين: منها ما هو **جزء من جهاز التنفس**، كالرئتين والحنجرة، ومنهما ما **هو جزء من الجهاز الهضمي**، كالإسنان، واللسان، والشفتين.

وأهم الأعضاء المسؤولة عن نطق الأصوات اللغوية هي:

1. **الرئتـان**: هما عضوان نسيجهما إسفنجي، يزداد حجمهما وينقبض بسهولة ويسر كالإسفنجة ومركزهما التجويف الصدري، ويقع القلب بينهما.

2. **القصبة الهوائية**: سُميت قديماً قصبة الرئة، وهي أنبوب يمتد من العنق إلى الصدر، والقصبة الهوائية عضو مهم من أعضاء جهاز التنفس، ففيها يتخذ النفس مجراه قبل اندفاعه إلى الحنجرة، وهي عامل ضروري لحدوث الصوت.

3. **الحنجـرة**: هي جزء من مجرى التنفس، تقع في مقدم العنق وتتصل بالحلق **(التجويف الحلقي)** من أعلى وبالقصبة الهوائية من أسفل، وهي تضم الوترين الصوتيين اللذين يهتزان مع معظم الأصوات، ويترتب عن معرفة تلك الهزات الحكم على درجة الصوت.

4. **الوتران الصوتيان**: وهما أشبه بشفتين منهما بوترين، ولكن جرى الاصطلاح على هذه التسمية. وهذان الوتران متصلان بالحنجرة أفقياً من الأمام إلى الخلف، وهما من أعضاء النطق المتحركة، ولهما القدرة على اتخاذ أوضاع مختلفة تؤثر في الأصوات الكلامية.

5. **الحلـق**: هو ذلك الجزء الموجود بين الحنجرة وأقصى الحنك، وهو مكون من التجاويف التي تقوم للصوت مقام فراغ رنين يضيق بارتفاع الحنجرة ويتسع باستقرارها في مكانها.

6. **اللهـاة**: عضو لحمي يتدلى من أقصى سقف الفم ويشرف على مؤخرة اللسان، وهو من الأعضاء المتحركة.

7. **الحنـك**: وهو سقف الفم والجزء الأعلى منه، وهو صلب لفصل الفم عن الأنف، وينقسم على قسمين: **مقدم الحنك**، وهو الحنك الصلب ويُسمّى أيضاً (الغار)، **وأقصى الحنك** أو **الحنك اللين** ويُسمّى أيضاً (الطبق).

8. **اللثـة**: من أعضاء النطق المتحركة، وهي جزء لحمي محدب يقع خلف الأسنان العليا وأمام الحنك الصلب، وهناك من يعدها جزءاً من الحنك.

9. **اللسـان**: وهو عضو لحمي، له أثر مهم في عملية النطق؛ إذ يضم عددًا كبيرًا من العضلات التي تمكنه من الامتداد والتحرك والانكماش والتلوي إلى الأعلى أو إلى الخلف، وغرضه الأصلي تدوير لقمة الطعام في الفم، وتنقلها بين أجزاء الفم، وثم يساعد على ابتلاعها، وينتج عن تحركاته المختلفة عدد كبير من الإمكانات الصوتية في الجهاز النطقي.

10. **التجويـف الأنفـي**: يقع خلف غشاء الحنك، متوسط طوله نحو ستة سنتمترات، ويتكون من تجاويف عديدة تغطى بغشاء مخاطي، وهو من الأعضاء الثابتة.

11. **الأسنـان**: عبارة عن سلسلة عاجية مثبتة بالفكين السفلي والعلوي من الفم، ولا تُستعمل الأسنان في النطق إلا بمساعدة أحد الأعضاء المتحركة كاللسان والشفة العليا.

12. **الشفتـان**: من أعضاء النطق المتحركة، تتخذان أوضاعاً مختلفة عند نطق الأصوات، ومن الممكن ملاحظة هذه الأوضاع بسهولة ويسر، إذ يمكن أن تنطبق الشفتان،

فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ثم تنفرجان فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً كما في نطق الباء، كما يمكن أن تنفرجا كما يحدث في نطق الضمة.

يظهر مما تقدم أن أعضاء النطق منها ما هو **ثابت** كالأسنان، والحنك الصلب، والتجويف الأنفي... ومنها ما هو **متحرك** كالوترين الصوتيين، والشفتين، واللسان... إلا أن عمل هذه الأعضاء لا يمكن أن يتم إلا بوجود تيار هوائي مندفع من الرئتين إلى الخارج عند عملية الزفير، وبالتالي يمكن القول بأن إحداث الأصوات اللغوية يتم بفضل اجتماع عاملين رئيسين هما **أعضاء النطق والتيار الهوائي**، ومن ثمة إحداث أعداد كبيرة جداً من الأصوات المختلفة التي لا حصر لها.

ويُعَدُّ **اللسان** من العوامل المهمة التي تشارك في أغلب المخارج، فهو -وإنْ لم يُنسب إليه أيّ مخرج- نجده عضوًا فعالاً في إخراج الأصوات، فقد يخرج طرفه من بين الأسنان، أو قد يوضع عند الأسنان واللثة، أو عند اللثة وحدها، أو عند الغار، أو ترتفع مؤخرته عند الطبق أو اللهاة. والنَّاظر إلى الترتيب المخرجيّ للقدامى والمُحدَثين، سيجد أنَّ القُدامى رتبوا المخارج من أقصى الحلق صعودًا إلى الشَّفتين، أمَّا المُحدَثون، فرتبوها من الشَّفتين نزولاً إلى أقصى الحلق، وهو من أكثر الفروق الشاسعة بين الفريقين.

جهود العرب القدامى في علم الأصوات

عدّ الدرس الصوتي عند العرب أصلاً من أصول الجوانب التي تناولوا فيها دراسة اللغة، ومن أقربها إلى المنهج العلميّ؛ لأن أساس هذا الدَّرس بُني على القراءات القرآنية، وقد دفعت قراءة القرآن علماء العربية القدماء لتأمّل أصوات اللغة وملاحظتها ملاحظة ذاتية، أنتجت -في وقت مبكِّر جدًا- دراسة طيبة للأصوات العربية، لا تبتعد كثيرًا عمَّا توصَّل إليه علماء الأصوات في الغرب.

ولعلّ هذا الجهد العلمي الكبير، بدأ بمحاولة **أبي الأسود الدؤلي** ضبط القرآن بالنُّقط عن طريق ملاحظة حركة الشفتين، وكان يقول لمن يكتب له: إذا رأيتني قد فتحت فمّي بالحرف، فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي، فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت، فاجعل النُّقطة من تحت الحرف.

جاء بعد ذلك **الخليل بن أحمد** وقدَّم أوَّل تصنيف للأصوات بحسب موضع النُّطق، أو بحسب الأحياز والمخارج، كما قال، وقد أدَّى به ذلك التصنيف إلى تقسيم الأصوات على ما يُعرف الآن **بالصوامت، والصوائت**.

ثم واصل سيبويه طريق أستاذه، فقدَّم دراسة للأصوات أوفى وأكثر دقَّة، إذ جاء تصنيفه لها بحسب المخارج، وبحسب ما يُعرف –الآن- **بوضع الأوتار الصوتية**، ممّا سمّاه سيبويه **بالجهر والهمس**، ثم بحسب طريقة النطق، لنجد **الأصوات الشديدة والرِّخوة وما بين الشديدة والرخوة**. ويمكن القول: إن دراسة الخليل وسيبويه للأصوات، قامت على مبدأ علمي

صحيح، إذ درساها **دراسة وصفيَّة واقعية** قائمة على الملاحظة الذاتية، وبعيدة عن الافتراض والتأويل.

وهكذا تتَّصل جهود علماء العرب القدامى في دراسة الأصوات حتى نصل إلى **ابن جنيّ**، وهو أستاذ هذا العلم من دون منازع، الذي أدرك طبيعة اللغة ووظيفتها، عندما قال: **"اللغة أصوات يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"**. وقد عُني أبو الفتح بدرس القراءات القرآنية في **المحتسب**، وخصَّص كتابًا كاملاً لدراسة الأصوات، هو كتاب **سرّ صناعة الإعراب**. وابن جني **أوَّل من عرض لجهاز النُّطق** فشبَّهه بالنَّاي، وبوتر العود، ليقدّم صورة عن العملية الطبيعية لإنتاج الكلام، وليوضّح تقسيم الأصوات **بحسب المخارج وتقسيمها على أصوات صامتة، وأخرى متحركة**.

مخارج الحروف عند القُدامى:

1- عدد المخارج: قسّم عُلماء العربيّة مخارج الحروف إلى أقسام اختلفوا في أعدادها، فالخليل بن أحمد الفراهيدي جعل مخارج الحروف **تسعة**، أمَّا سيبويه، والمبرِّد، وابن جنيّ، والزَّجاجيّ وابن الباذش والأنباريّ وابن يعيش، والأستراباذي وأبو حيّان الأندلسيّ، فجعلوا مخارج الحروف **ستة عشر** مخرجًا، وذهب علماء التجويد المتأخرون إلى أنها **سبعة عشر** مخرجًا.

2- ذكر مخارج الحروف: وزّعَ عُلماءُ العربيّةِ الحروف على مواضع خروجها من آلة النُّطق، فنسبوا كلَّ حرفٍ إلى الموضع الذي يخرج منه، ولمَّا أدركوا أنَّه قد يشترك أكثر من حرف في الخروج من المخرج نفسه قسموا الحروف طوائف، وجعلوا كل طائفةٍ تنتمي إلى مخرجٍ محدد تصدُر منه وتنسبُ إليه. أمَّا مخارج الحروف عند الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ فقد ذكرها بقوله: ((**فالعين والحاء والخاء والغين حَلْقيّة، لأنَّ مبدأها من الحَلْق، والقاف والكاف لَهَويَّتان، لأنَّ مَبْدَأُهما من اللهاة**)).

أمَّا مخارجُ الحروف عند سيبويه؛ فتميّزت بالشهرة والشيوع؛ وذلك لأنَّهُ قد استخدم طريقة جديدة ومبتكرة في ترتيب الحروف وتوزيعها بين مخارجها خالف فيها ما جاء به أُستاذه الخليل من قبله، وقد لاقى ما قدمه سيبويه صدًى واسعًا عند من أتى بعده من العلماء، فأخذوا بما جاء به وثبتوه في مؤلفاتهم واعتمدوا عليه في كلامهم.

ومخارج الحروف عند سيبويه ومن تبعه، نجدها في قوله: ((**ولحروف العربيّة ستة عشر مخرجًا**)).

فأقصاها مخرجًا: الهمزة، والهاء، والألف.

ومن أوسط الحلق مخرج: العين، والحاء.

وأدناها مخرجًا من الفم: الغين، والخاء.

الرابع: من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج: القاف.

والخامس: من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلًا، ومما يليه من الحنك الأعلى، مخرج الكاف.

والسادس: من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج: الجيم، والشين، والياء.

والسابع: من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، مخرج الضاد.

والثامن: من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، وما بينهما، وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية، مخرج اللام.

والتاسع: من حافة اللسان من أدناها إلى منتهي طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الثنايا، مخرج: النون.

والعاشر: من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلًا، لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

والحادي عشر: من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، مخرج: الطاء، والدال، والتاء.

والثاني عشر: مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا، مخرج: الزاي، والسين، والصاد.

والثالث عشر: مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، مخرج: الظاء، والذال، والثاء.

والرابع عشر: باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، مخرج الفاء.

والخامس عشر: مما بين الشفتين، مخرج: الباء، والميم، والواو.

والسادس عشر: من الخياشيم، مخرج النون الخفيفة، أي النون الساكنة.

صفات الأصوات

درس العلماء القدامى صفات الأصوات دراسة مفصلة يمكن إيجازها بالآتي:

1. **الجهر**: هو انحباس جري النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على المخرج. ويحدث الجهر بالصوت حينما تقترب الاوتار الصوتية بعضها من بعض في اثناء مرور الهواء، فالوتران الصوتيان عندما يضيق الفارغ بينهما تحصل ذبذبات منتظمة حال مرور الهواء.

والاصوات المجهورة ثمانية عشر صوتاً، هي: (التاء والجيم والدال والذال والراء والزاي والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف واللام والميم والنون والواو والياء والالف).

2. **الهمس**: هو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج، ويحدث اذا انفرج ما بين الوترين الصوتيين، فالهواء المار من الرئتين لا يلاقي اي اعتراض او عائق في طريقه، فيبقى الوتران الصوتيان بلا ذبذبة، ويسمى الصوت الحاصل **بالصوت المهموس**.

والاصوات المهموسة **تسعة**: هي (التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والصاد والكاف والفاء)، جمعت هذه الاصوات بعبارة (حثه شخص فسكت).

3. **الشدة**: يقصد بـها خروج الصوت فجأة في صورة انفجار للهواء عقب احتباسه عند المخرج، أي إن اعتراض هواء الزفير هنا يكون اعتراضـًا تامـًّا. وهي ثمانية حروف مجموعة في العبارة (أجدك قطبت)، وهي (الهمزة والباء والتاء والجيم والدال والطاء والقاف والكاف).

4. **الرخاوة**: هي جريان الصوت مع الحرف لضعف الاعتماد على المخرج. والحروف الرخوة ثلاثة عشر حرفاً: (الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والزاي والسين والضاد والظاء والذال والثاء والفاء). وتسمى الحروف الرخوة عند المحدثين **بالاحتكاكية**. وهناك حروف تقع بين الشدة والرخوة، فهي تجمع بين حالتي الشدة والرخوة، وهي ثمانية حروف مجموعة في عبارة (لم يروعونا)، وهذه الحروف هي (الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو)، وتسمى **بالأصوات المائعة**.

5. **الاطباق**: هو انحصار الصوت بين اللسان والحنك الأعلى. يقول ابن جني: ((**والاطباق ان تروغ ظهر لسانك الى الحنك الاعلى مطابقاً له**))، وحروف الاطباق أربعة، هي: (الضاد والطاء والصاد والظاء).

6. **الانفتاح**: هو جريان النفس لعدم اطباق اللسان وحروفه هي كل الحروف الهجائية عدا حروف الاطباق الاربعة.

7. **الاستعلاء**: وهو خروج الصوت من اعلى الفم، وحروفه سبعة، وهي (الخاء والصاد والظاء والضاد والطاء والغين والقاف).

8. الذلاقة: هي الاعتماد على ذلق الاسنان والشفة اي طرفيهما. وعدها الخليل ستة احرف، هي: (اللام والراء والنون والفاء والباء والميم).

9. **الصفير**: هو صوت يخرج من بين الشفتين شبه الصفير عند النطق بالزاي والسين والصاد، وسببه انحصار الصوت عند خروجه بين طرف اللسان والثنايا العليا، فيضيق منفذه فيصفر في خروجه، والصفير: هو حالة من حالات الصوت الرخو، فكل من اصوات الصاد والزاي والسين من الاصوات الرخوة.

10. **اللين**: اصوات اللين هي الاصوات التي لا يعترض الهواء حال النطق بها اي عارض، وقد اصطلح العلماء القدماء عليها بالحركات وهي (الفتحة والضمة والكسرة) اي ألف المد وواو المد وياء المد.

11. **القلقلة**: ونقصد بها اضطراب الصوت عند النطق به وهو ساكن ثم تحركه، وتسمى بالحروف المشربة؛ لأنها تحفر في الوقت وتضغط على مواضعها. وحروف القلقلة هي: (القاف والجيم والطاء والدال والباء)، ولا يمكن الوقوف عليها بدون صوت من شدة الضغط نحو: الحق، اخرج، اذهب.